حفيف الأفنان

بين

الملل والنحل والأديان

تـأليف

الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالي

الجزء الأول

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

إهداء

إلـــى

تـلكم الـروح الـوادعـة الشفيفـة

والنفس الراضية الكريمة اللطيفة

والقــلب الكبيــر الذى وسعني

ثـــم راح يدفع عنى مـن ظلمنى

روح استـاذى وشيـــخ شيـوخى

الأستاذ الدكتور

محمد شمس الدين ابراهيم احمد سالم السكندرى

استاذ العقيدة والفلسفة بالكلية

رحمه الله وجعل الجنة مثواه

تلميذك

د/ محمد الغزالى

المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . أتم على الإنسانية نعمه . فأرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه . وجعل علاقتهم به وحده متميزة عن كل علاقة أخرى وظل يتعهدهم بإرسال الرسل وانزال الكتب حتى كان أخر الأنبياء سيدنا محمد ﷺ . وأخر الكتب المنزلة هو أجمعها وأشملها وهو القرآن الكريم .

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ . الرحمة المهداة . والنعمة المسداة والسراج المنير فتح الله به قلوبا غلفا واسمع به آذانا صما وأبصر بشرعه عيونا كانت عميا . ووحد بدينه أمة مسلمة كانت هملا . وكشف من جمال الدين الالهى آيات كانت العقول عنها غفلا .

وارض اللهم عن آل بيته الأطهار وأصحابه الكرام الابرار والتابعين ممن ارتشفوا حبه فنالوا منازل الأخيار وراضوا انفسهم على حسن الجوار . وارحم اللهم ضعفنا ونجنا من هذه الدار . واجعل أعمالنا عندك مقبولة فلا تتعرض للبوار .

أمـا بـعـد

فإن دراسة الأديان أمر مهم . والتفريق بينها ضرورة ملحة . والتعرف على مناهجها تفرضه احكام الشرع الشريف . كما أن التعرف على الملل المختلفة والنحل المتباينة . يمثل بالنسبة للمؤمن الملتزم رصيدا يتعرف من خلاله صحيحها من السقيم . وغثها من السمين . وحقها من باطله . اذ أنها تمثل بالنسبة له قواعد آمرة متى تعرف عليها . واستطاع التعرف على الفوراق بينها . كلما تمكن من الاجابة على الاسئلة التى ترد على خاطره فيما يتعلق بالاديان .

والمعروف أن الإسلام هو العنوان العام للأديان السماوية"إن الدين عند الله الإسلام" [1] ومن ثم فلا اعتراف بيهودية أو مسيحية مثلا كدين قائم برأسه منقطع الصلة بما قبله وما بعده بل كل دين يكمل السابق ويمهد للاحق ، مع التسليم المطلق بكماله فى ظروفه الخاصة ومناسبته لهذه الظروف [2].

والتعرف على الملل والنحل كما أنه أمر مهم ، فالاهم منه هو معرفة الأديان السماوية الكبرى ، وبيان الفوارق بينها ان كانت هناك فوارق ومحاولة التعرف على مابين الأديان السماوية والأديان الأرضية من فوارق كذلك ، لأن الأديان الأرضية تبعثرت وكثرت ، كما لم تخل أمة من الأمم ، أو جماعة من الجماعات بل ولافرد من الأفراد من التعلق بدين ما تكون مهمته ربط هذه الجماعة وتلك الافراد بما وراء الطبيعة وفى نفس الوقت ينزله منزلة الخوف والمهابة .

بل انه من الصعب أن تعثر فى تاريخ الأمم والشعوب عن أمة خلا أمرها من دين يربطها بهذا الغيب المكنون فمن الممكن أن نجد شعبا لاعلم له أنما يعيش فى جاهلية وربما تجد أخر لايعرف الفلسفة ، وثالث لايفقه شيئا من الفنون والمعارف ، ولكن ليس من الممكن أن تجد جماعة أو شعبا نفض يديه من مسألة الدين ، وأفرغ عقله منها .

بيد أن أخر الأديان السماوية هو أكملها على الاطلاق ، وهو الاسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ وذلك لسببين واضحين ، هما :

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩

(٢) الدكتور رفقى زاهر قصة الأديان ص٢٤ .

السبب الأول : أن الأديان السابقة عليه انما نزلت لتبشر به ، وتمهد له وتتدرج بالانسانية اليه ، فهو منها بمنزلة القمة من الهرم ، أو بمنزلة الغاية من الوسيلة .

السبب الثانى : أن كلا منها - الأديان السابقة - نزل ليغطى مساحة مكانية ، وزمانية معينة أما الدين الأخير ، فلابد أن يحمل عوامل صلاحيته وتطبيقه مادامت فى الأرض حياة انسانية اذ لا أمل فى دين أخر بعده " وقد قال الرسول الكريم [١] " وختم بى النبيون " [٢]

من ثم فإن دراسة الاديان السماوية والأرضية ، والملل والنحل أمر مهم طالما كان الدارس متمكناً من قواعد دينه ، صاحب عقيدة سليمة ، لايخشى عليه التبدل أو التنازل ، بجانب أن هذه الدراسة تكشف عن ملاءمة الأديان السماوية لشرع الله ، مادامت صحيحة كالاسلام ، وعدم ملاءمة الأديان البشرية الوضعية لتلك المتطلبات وهاتيك الضروريات .

اذ المعروف أن الأديان الوضعية التى اخترعها عقل الانسان وخياله لاتستطيع أن تقوم بدور الأديان السماوية فى تحقيق ما تشتد اليه حاجة الانسان من السكينة والسلام وذلك لما تفتقده الأديان الوضعية من خصوصية العلم بما يصلح الانسان وما يضره - وهو ما يتحقق فى الأديان السماوية عامة ، ضرورة صدورها عن الخالق الحكيم .

---

(١) الدكتور رفقى زاهر قصة الأديان صـ٢٥ .

(٢) متفق عليه :

(٣) الدكتور رفقى زاهر - قصة الأديان صـ٢٦ .

على أن ما يمكن الالتفات اليه هو أنى فى هذا السفر سأعمل على ابراز بعض الجوانب . مادمت قد عزمت على جعل هذا السفر أجزاء يكمل بعضها الأخر ولما كانت هذه الدراسة فيها الكثير من الدقة فقد سميته " حفيف الأفنان بين الملل والنحل والأديان " حتى يتسنى لى من لمس الأطراف الناعمة التعرف على هذه الملل وتلك النحل وجوهر الأديان . وما بينها من فوارق دقيقة .

لذا سأقصر الحديث هنا على مقدمات أراها أولية . ومصطلحات أجدها فنية . ثم أتعرض لمناهج دراسة الأديان على العموم والمقارنة على الخصوص ثم أدلف الى مسألة التدين وأنواعه . والدين وأقسامه حتى أقف عند تصنيف الأديان والغاية فيه داخلة .

فإن تكن تلك العجالة قد أوفت بما تم التعاهد عليه . فقد حسن أمرها . وان تكن قد تخلفت فالامر لله وحده يجبر كسرها . ويقيل عثارها . طالما أنى لاأقصد بها الا وجهه تعالى "ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " والحمد لله رب العالمين .

د / محمد الغزالى

الفصل الأول

مقدمات مقصودة فى الأديان

المبحث الأول : الملة فى اللغة والإصطلاح

المبحث الثاني : النحلة فى اللغة والإصطلاح

المبحث الثالث : الشريعة فى اللغة والإصطلاح

المبحث الرابع : العقيدة فى اللغة والإصطلاح

المبحث الأول

الملة بين اللغة والإصطلاح

الملة :

وردت مادة الملة فى لغة العرب كثيرا ، وحملت المعاجم العربية لها أكثر من معنى طبقا لحركة حروفها مما يوحى بأن الكلمة لها وجود فى اللغة العربية فما هى الملة فى اللغة والاصطلاح .

أ- فى اللغة :

وردت كلمة الملة فى اللغة العربية بعدة معان منها .

١- الشريعة أو الدين

ومنه قولهم : الملة بالكسر الشريعة أو الدين (١) وجمعها ملل (٢) : وسميت ملة لان جبريل الأمين أملاها على الرسول الكريم ، والرسول ﷺ أملاها على أتباعه ومنه قولهم فلان أمل على فلان بمعنى "أملى يقال أمللت عليه الكتاب"(٣) ومل الشئ : ماله وأملاه فكتب (٤)

٢- الخياطة الأولى

ومنه قولهم الملة بالفتح الخياطة الأولى للثوب ، لان سم الخياط يدخل فى طبقات الثوب أول مرة بقصد خياطته وتحويله إلى ثوب يلبس بدل أن كان نسيجا ممتدا ، فكلما دخل سم الخياط فى القماش فقد ساوى بين الطرفين وجمعها للمرة الأولى وهو معنى الملة .

---

(١) القاموس المحيط للفيروز ابادى جـ٤ ص٥٢ باب اللام فصل الميم وما ثالثهما وبهامشه تعليقات وشروح . ط الهيئه العربيه العامه للكتاب ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

(٢) المعجم الوجيز مادة م ل ل ص٥٩١

(٣) مختار الصحاح مادة ملل ص٦٥٩

(٤) المعجم الوجيز ص٥٩١ مادة ملل

٣- الرماد الحار، والحفرة

وهى بالفتح "الملة" التراب الحار، والرماد، أو الجمر يخبز أو يطبخ عليه. أو فيه(١)

٤- السأم والكراهية.

ومنه قولهم : مل فلان الشئ مللا وملالا وملاله سئمه. فهو مل وملول.

ومنه قولهم : أمله جعله يمل.

٥- ما على السرير.

ومنه قولهم : ملة السرير. ما على السرير تحت الخشبة من خشب ومعدن وخلافه. ويعرف بانه ما يستعرض به على اركانه الاربعة من أسفل حتى يحمل عليه راكبه.

من جماع هذه الاقوال يمكن تعريف الملة فى اللغة العربية بأنها.

الشريعة المملاة لأول مرة على الرسول ومن خلاله حتى تنقذ متبعيها من الوقوع فى الحفر والسأم والكراهية وتجعل القائمين عليها المتمسكين بها على خير ما يعتضد به. وأقوى ما يمكن حملهم عليه. وهى الملة الحقة.

هذا ما يمكن فهمه من تعريف الملة فى لغة العرب. فماذا عن تعريفها فى الاصطلاح ؟

ب- تعريف الملة فى الاصطلاح :

كان لورود كلمة الملة فى القرن الكريم أثر كبير جدا بالدراسين لتناولها فى كتب التفسير وعلوم القرآن كما دفعت علماء العقيدة والاديان إلى بحث المسالة ومحاولة تقديم تعريف لها كل فى ميدان تخصصه ومن خلال القواعد المنضبطه عنده. وهو ما سنحاول التعرض له على النحو التالى :

---

(١) المعجم الوجيز ص٥٩١

١- فى اصطلاح المفسرين :

وردت مادة م ل ل فى القرآن الكريم نحوا من تسع وعشرين مرة . وجاءت أسما وفعلا . كما جاءت مفرده ومضافة ولم تأت جمعا أبدا كما لم تأت مثنى . ولكنها فى كل الاحوال تجمع بين ما يعتقد صوابا وما يعتقد خطأ (١)

أ- قال الشيخ الراغب :

" الملة كالدين . وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله (٢)

ب- قال الشيخ الجمل :

الملة : اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء عليهم السلام. من أمللت الكتاب إذا أمليته وهو الدين بعينه . لكن بإعتبار الطاعة له(٣)

ويتحدث رحمه الله عن اسباب تسميتها مله . ولم لم تسم شيئا آخر . ويفرق بينها وبين كل من الدين والشريعة وأن الملة هى المنسوبه إلى من يؤديها عن الله تعالى إلى خلقه وهم الأنبياء والمرسلون . وتسمى ملة لانها مملاة عن الله تعالى إلى رسوله ثم أملاها الرسول على المرسل اليه ودونوها عنه لأنها شريعة الله اليهم . والدين الذى ارتضاه لهم .

---

(١) المعجم المفهرس للالفاظ القرآن الكريم مادة م ل ل ص٦٧٦ وضعه الاستاذ محمد فؤاد عبدالباقى

(٢) الشيخ الراغب الاصفهانى . المفردات فى غريب القرآن ص٤١٧ كتاب الميم

(٣) الامام سليمان عمر العجيلى الشهير بالجمل - الفتوحات الالهية جـ٢ ص٦٠٤ - ط دار المنار للنشر والتوزيع . بالقاهره وبهامشه تفسير الجلالين . وأملاء ما من به الرحمن

أما الدين : فإنه الذى يقيمه المكلف ويعمل به ابتغاء مرضاة من فرضه كما أن الملة لاتنسب الى النبى وأنما تضاف إلى جملة الشرائع بإعتبارها ممثلة للاسلام ككل .

يقول الشيخ الجمل عن هذه الفوارق : الوضع الالهى مهما نسب إلى من يؤديه عن الله تعالى يسمى مله ومهما نسب إلى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا.(١)

ج-وقال الشيخ البروسوى :

الملة : أسم لما شرعه الله لعبادة وهى الدين بعينه(٢) وعلى وجه الاجمال ، وكان الملة على هذا المعنى مرادفة للدين . ولمثل هذا الرأى مال الشيخ الصاوى - رحمه الله - حيث يقول : الملة الشريعة : وهى عقائد التوحيد (٣) ولو كانت الملة هى الشريعة لكان اللفظ الاول منهما هو المقصود بعينه ويكون الثانى أما توكيدا للاول أو بدلا منه وإلا لكان تكرارا لافائدة منه .

غير أن الامام الفخر الرازى عرض نكتة طريفه قوامها ان الملة أعم من الشريعة لأن الملة تشمل " الاصول أعنى التوحيد والنبوه ورعاية مكارم الاخلاق " وهو القاسم المشترك بين كافة الانبياء ولكن كل شريعة تختلف عن الأخرى فى فروع الشرائع أو كيفية الاعمال(٤)

(١) المصدر السابق جـ٢ ص٦٠٥

(٢) الشيخ اسماعيل حقى البروسوى - تنوير الاذهان من تفسير روح البيان المجلد الثانى ص٣٢٦ . تحقيق الشيخ محمد على الصاروبونى . ط دار الصابونى

(٣) الشيخ أحمد الصاوى المالكى - حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين المجلد الثانى ص٣٣٢ . ط دار الفكر

(٤) الامام الفخر الرازى . مفاتيح الغيب المجلد الثانى ص٤٣٢ ط دار الغد العربى بالقاهره أولى ١٩٩١

اذن الملة أعم والشريعة أخص .

ولذا وجدنا لدى الامام الزمخشرى وجاهة رأى يقوم على أن الملة هى " الحق الواضح " (١) ولكن هذه الوجاهه تتبدد متى لاحظنا مفهوم الملة على أنها ما يعتقده الناس صوابا أوخطأ أما اذا لاحظنا أن الملة لايراد بها إلا الحق الواضح والدين الصائب وأن ما سواه يهمل فلا شك أن راى الزمخشرى على هذا النحو يكون مقبولا .

وقد تجاذب صاحبا التفسير الوسيط الرأى وانتهيا إلى أن " الملة فى الأصل الطريقه . وغلب أطلاقها على اصول الدين من حيث أن صاحبها يصل عن طريقها إلى دار السلام " (٢) بإعتبار أن دار السلام هى موطن لقاء الصالحين فى الآخره . وتكون الملة هى الطريق الموصل إلى دار السلام من غير خلاف حوله .

ورأى علماء التفسير الذين تعرضنا لهم لايخرج كثيرا عن معانى الملة فى اللغة وبالتالى فهو تعريف مقبول على ناحية اصطلاحية خاصة بعلماء التفسير على ما سلف بيانه .

٢- فى اصطلاح المتكلمين :

تناول المتكلمون لفظ الملة بالتعريف الاصطلاحى مرة وتقسيمها إلى أقسام مرة أخرى . وكان لهم فى ذلك مجهود طيب زاخر بالكثير من وجوه الجدة والطرافة . نذكر منهم على سبيل المثال :

---

(١) الامام محمود بن عمر الزمخشرى . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل جـ١ ص١٩،١٩ ط دار الريان

(٢) د/ أحمد الكومى . د. محمد سيد طنطاوى التفسير الوسيط القسم الأول صـ٣١٠ .

أ- الامام الشهرستانى

يقرر الشهرستانى ان الملة مشترك لفظى يتحدد معناه المراد منه بمخصص يكون بمثابة الترشيح للمعنى المراد من بين المعانى المثارة . ومن ثم فالشهرستانى يرى النوع الانسانى خلقا محتاجا إلى بنى جنسه حتى تقوم حياتهم . وتنظم شئون معاشهم . ويستقر على الحقيقة أمر معادهم . ومن ثم فلابد من وقوع اجتماع بين افراد النوع الانسانى كله تكون له صورة مثلى أو قيادة عليا . تبدو فى هيئه معينة هى الملة .

من ثم . فإن الملة عند الشهرستانى هى : الهيئة التى تجمع الناس على شكل معين يحصل به التمانع والتعاون . وتقود بنى الانسان لصالحهم فى اقامة المعاش . والاستعداد للمعاد . ولن يكون هذا الأمر بالغ السلامة إلا اذا كان آتيا مع نبى . يقول الشهرستانى :

" لما كان نوع الانسان محتاجا إلى اجتماع مع آخر من بنى جنسه فى اقامة معاشه والاستعداد لمعاده . وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله . ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هى الملة "(١)

وربما يقال إن عبارة الشهرستانى خلت من ذكر النبى . بل أنها خلت حتى من مجرد الاشارة اليه فمن اين لك بأنه مال إلى ذكر الشرع أو لمح إلى الشارع ؟

---

(١) الامام أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستانى - الملل والنحل جـ١ ص٣٩ تحقيق الاستاذ / عبدالعزيز محمد الوكيل ط الحلبى بالقاهرة

والجواب : أن الشهرستانى استشعر هذا السؤال وأجاب عليه . بل أنه استبعد وجود ملة من غير شارع ومعه شرع فيقول : "ولن يتصور وضع الملة . وشرع الشرعه إلا بواضع شارع يكون مخصوصا من عند الله بايات تدل على صدقه . وربما تكون الاية مضمنة فى نفس الدعوى . وقد تكون ملازمة . وربما تكون متأخرة(١).

وطبقا لهذا الذى ذهب اليه الشهرستانى تكون الملة غير الشرعة . وغيرهما المنهاج الواردين فى قوله تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " (٢) ولكن الغيريه ليست على اطلاقها لشمول الملة الشريعة وأن الشريعة جزء الملة وعلل الشيخ الدردير تسمية الاحكام الشرعية باسم الملة فقال : أن الأحكام الشرعية من حيث أنها تملى لتنقل (٣) فتسمى ملة .

كما قسم الشهرستانى الملة إلى انواع :

النوع الأول :- الملة الكبرى : وهى "ملة ابراهيم الخليل عليه السلام . وهى الحنيفية التى تقابل الصبوة تقابل التضاد " (٤)

النوع الثانى :- الملة الخاتمة : وهى التى خص بها "المصطفى صلوات الله عليهم اجمعين . وكانت خاتمة لأنها جمعت بين الملة الكبرى التى هى ملة ابراهيم الخليل وملة موسى وعيسى . حيث خص موسى الكليم بالتنزيل . وخص عيسى بالتأويل . فلما كانت ملة المصطفى محمد ﷺ جامعة بينهم جميعا سميت الملة الخاتمة .

---

(١) المصدر السابق جا ص٣٨ .

(٢) سورة المائدة الأية ٤٨

(٣) الشح أبوالبركات احمد الدردير - شرح الخريدة البهية ص٤٠ ط الحلبى .

(٤) الملل والنحل جا ص٣٨

النوع الثالث :- الملة الخاصة : وهى التى جاءت مع كل نبى على حدة غير ابراهيم الخليل ، وسيدنا محمد ﷺ الخاتم وبالتالى . فقد ذكر الشهرستانى قولا على سبيل الحكاية يستقى منه هذا التقسيم الأخير حيث " قيل . خص أدم بالأسماء

وخص نوح بمعانى تلك الاسماء

وخص ابراهيم عليه السلام بالجمع بينهما "أى بين ما خص به أدم ونوح عليهما السلام.

ثم خص موسى بالتنزيل ،

وخص عيسى بالتأويل ،

وخص المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين بالجمع بينهما على ملة ابيكم إبراهيم (١)

من ثم فإن ما ذكره الشهرستانى جعل فروقا جوهرية بين الشريعة والملة من ناحية ، وبين كل ملة والأخرى من ناحية ثانية ، كما فصل القول تفصيلا يحتاج فقط إلى توظيف كلماته وتدعيمها ببعض الادلة أو التسليم بها على ما هى عليه .

لكن يرد على تعريف الشهرستانى وتقسيمه سؤال .مؤداه . أن لفظ الملة جاء مع المسلمين ، وشرعة الحق ، مثل قوله تعالى " ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين " (٢) كما جاءت مع غير المسلمين .

---

(١) المصدر السابق جا ص٣٦

(٢) سورة النحل الأية ١٢٣

وحكاه القرآن الكريم عن الكافرين حين طالبوا رسلهم بالعودة إلى دين الأباء والأجداد . قال تعالى : "وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين " (١) وقوله تعالى: " قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين . قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين " (٢) وملة الذين كفروا باطلة ولو كان عبادها من علية القوم .

يقول أحد العلماء "قال الاشراف المستكبرون من قوم شعيب له ردا على مواعظه لهم : والله لنخرجنكم ياشعيب أنت والذين آمنوا معك من قريتنا بغضا لكم ، ودفعا لفتنتكم المترتبه على مساكنتنا ومجاورتنا ، أو لتعودن وترجعن إلى ملتنا وما نؤمن به من تقاليد ورثناها عن أبائنا ومن المستحيل علينا تركها ، فعليك ياشعيب أنت ومن معك أن تختاروا لأنفسكم أحد أمرين :

الاخراج من قريتنا أو العودة إلى ملتنا "إذن لفظ الملة كما يشمل الملة الصائبة التى يأتى بها النبى وتقود الى الخير فإنها كذلك تشمل الملة الخاسرة التى تعود على صاحبها بالخسران "(٣)

---

(١) سورة ابراهيم الأية ١٤ (٢) سورة الاعراف الأية ٨٩

(٣) الدكتور / أحمد السيد الكومى ، ومحمد السيد طنطاوى تفسير سورة الاعراف ص١٣٩ ط دار الجيل بالقاهرة ١٩٧٢

بيد أن هذا المشترك اللفظي يمكن توضيحه أو تخصيصه بالملة الحقة مثلا ، والملة الخاسرة ، ومن ثم . يمكن تقسيم الملة إلى قسمين :

القسم الاول : الملة الحقة : الحنيفية

وهى التى تأتى بشرع الله مع نبى من أنبيائه جل علاه وتتنوع هذه الملة الحقة . حسب رأى الشهرستانى إلى ثلاثة أنواع .

النوع الاول : الملة الكبرى . وهى ملة ابراهيم الخليل عليه السلام .

النوع الثانى : الملة الخاتمة . وهى ملة سيدنا محمد ﷺ .

النوع الثالث : الملة الخاصة .وهى التى تخص كل نبى - غير ماذكرنا - بعينه كموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم . وتسمى الملة الحنيفية بمعنى الحائدة عن الباطل ، القائمة على الحق .

القسم الثاني : الملة الباطله :

وهى التى كان يقف عليها اصحاب الدين الباطل ويطالبون الناس الالتزام بها ، بل ويطلبون من المرسلين ان يتحاكموا اليها . مع أنها باطلة شرعا ، وغير مقبولة عند الله .

يقول احد العلماء : "الملة تطلق على : ما يعتقده الناس مطلقا ، سواء كان هذا المعتقد صحيحا ام باطلا ، وحيا من السماء أم من أفكار البشر" (١) وهذا التعريف اقرب قبولا من غيره ، وأدعى للنظر فيه .

وقد خالف الشيخ أبو البركات الدردير تقسيم الشيخ الشهرستانى حيث يرى الملة جزء الأحكام الشرعية ، وليست الاحكام الشرعية جزء الملة وأن الاحكام الشرعية تتنوع إلى انواع هى :

---

(١) الدكتور/ أحمد طلعت الغنام . أضواء على النصرانية تاريخها وعقيدتها ص٨ مطبعة الفجر الجديد ١٩٨٧

١- الملة : وهى الاحكام الشرعية من حيث أنها تملى .

٢- الدين : وهو الاحكام الشرعية من حيث أنها يتدين بها . أى يتعبد بها .

٣- الشريعة : وهى الاحكام الشرعية من حيث أنها شرعت أى بينها الشارع شريعه . أى مشروعة . وميل الشيخ الدردير هنا قائم عنده على اساس أن "الاحكام الشرعية متحدة بالذات لكنها مختلفة بالاعتبار . لان الاحكام الشرعية من حيث انها تملى لتنقل ملة . ومن حيث أنها يتدين بها أى يتعبد بها دين . ومن حيث أنها شرعت أى بينتهما الشارع شريعة "(١) وبهذه الاعتبارات جعل الشيخ الدردير الاحكام الشرعية أعم من الملة . وليست الملة هى الاعم . والذى أميل اليه هو أن الملة أعم من الشريعة . وأعم من الاحكام الشرعية أيضا : أما لماذا؟ فلما يلى :

الاول : أن الملة جاءت فى القرآن الكريم دالة على العقيدة الصحيحة وهى الملة الحقة . وجاءت دالة على العقائد الباطلة . على ما سلف ذكره . وليست الاحكام الشرعية كذلك لأن الاحكام الشرعية لاتطلق إلا على تطبيق الاحكام الشرعية التى تقود اليها العقيدة الحقة والدين الصحيح ولا تعتبر شرعية الا اذا جاءت وفقا لأحكام الشارع .

الثانى : أن الملة أسم لما يملى . اما الاحكام الشرعية فهى علم على ما يطبق من عبادات ومعاملات وسلوك وأخلاق يدخل تحت جناح الأحكام الشرعية . والفرق بين الأمرين . الملة والاحكام الشرعية . كبير جدا .

---

(١) الشيخ أحمد الدردير شرح الخريدة البهية ص-٤٠ ط الحلبى ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م

الثالث: انه يمكن تصور الملة على أنها محصورة فى الذى شرعه الله ومن ثم " يقال: الملة أعتبارا بالشئ الذى شرعة الله(١) وليست الشريعة بهذا الاعتبار أعم من الملة . فبان لنا أن تقسيم الشهرستانى كان أقوم من تقسيم غيره لتظاهر النصوص الدينية حوله ، ومظاهرتها له.

---

(١) الشيخ الراغب الأصفهانى . المفردات فى غريب القرآن كتاب الميم ص٤١٢

المبحث الثانى

النحلة بين اللغة والإصطلاح

النحلة

وردت النحلة فى القرآن الكريم فى آية واحدة هى قوله تعالى " **وأتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** " (١) وهى لاتخرج عن معنى الهبة و العطية . وهو الذى يمكن فهمه من معنى النحلة فى الأية القرانية الكريمة كما يمكن فهم النحلة فى الأية على أنها " العطاء والفرض"(٢)؛

بيد أن النحلة وردت فى لغة العرب كثيرا من حيث هى مادة الكلمه - ن ح ل - ولذلك يحسن الالتفات اليهافى اللغة والاصطلاح . فما هى النحلة فى اللغة والاصطلاح .؟

أ- فى اللغة :

جاءت النحلة فى اللغة على معان شتى من هذه المعانى .

١- **الهزال :** ومنه قولهم : نحل المرض فلانا . أهزل جسمه فأضناه . نحل نحولا : رق وهزل فهو نحيل

٢- **التبرع :** ومن قولهم : فلان نحل فلانا نُحلا : تبرع له بشئ .(٣) وهذا التبرع هو المعروف بأسم العطاء بلا عوض على ما هى عبارة القاموس المحيط . ومن النحلة بالكسر . وهو مهر المرأة . الذى هو أسم لمال معلوم يعطى للمرأة بعد عقد نكاحها عطية لها من زوجها .

---

(١) سورة النساء الأية٤

(٢) المعجم الوجيز مادة ن ح ل ص٦٠٦

(٣) المعجم الوجيز مادة نحل ص٦٠٦

٣- دعوى مالا يملكه . ومنه قولهم : انتحل فلان شيئا . وتنحله : بمعنى ادعاه لنفسه وهو لغيره . ونحله القول : نسبه اليه (١) وليس بقائله .

٤- الرقة والدقة : ومنه قولهم : أنحله الهم . وجمل وسيف ناحل رقيق ومنه الاهلّة لدقتها .

٥- الدعوى مطلقا : حيث أن النحلة بالكسر الدعوى(٢)

٦- الانتساب والادانه له : ومنه قولهم : أنتحل فلان مذهب كذا . أى انتسب اليه ودان به

٧- الدين والعقيدة : متى جاءت النحلة بالكسر.

٨- العطية على سبيل التبرع : وهى بهذا المعنى "أخص من الهبة . إذ أن كل هبة نحلة وليس كل نحلة هبة "

ويميل الراغب الأصفهانى إلى أن اشتقاق النحلة هو من النحل "نظرا منه إلى فعلة . فكأن نحلتة أعطيتة عطية النحل " (٣)

" والانتحال : ادعاء الشئ وتناوله . ومنه يقال : فلان ينتحل الشعر . ونحل جسمه نحولا صار فى الدقة كالنحل . ومن النواحل للسيوف . أى الرقاق الظبات تصورا لنحولها . ويصح أن يجعل النحلة أصلا فيسمى النحل بذلك أعتبارا بفعلة (٤).

---

(١) القاموس المحيط باب اللام فصل النون جـ٤ ص٥٥

(٢) القاموس المحيط باب اللام فصل النون جـ٤ ص٥٥

(٣) الراغب الأصفهانى . المفردات فى غريب القرآن ص٤٨٥ كتاب النون

(٤) المصدر نفسه ص٤٨٥

وهذه المعانى التى سلف ذكرها كوعاء تدور بداخله النحلة كلها تؤدى إلى تعريف لغوى يمكن قبسة من جملتها وهو :

أن النحلة هى : الدعوى الهزيلة التى تنسب لنفسها ما صنعه غيرها . وتعتقد فيما تصدق به متحملة عبء الدفاع عنه . وجمع الانصار له . ودفع الخصوم عنه . حقا او باطلا .

هذا عن تعريف النحلة فى اللغة . فماذا عن تعريفها فى الاصطلاح؟

ب- النحلة فى الاصطلاح .

يرى احد الباحثين أن "النحلة : تطلق على العقائد والمذاهب الفاسدة التى يخترعها الانسان ويدعيها من نفسه دون سند صحيح من الوحى الالهى . وعلى هذا المفهوم لايمكن اطلاق النحلة على الاديان السماوية المعروفة ... وانما تطلق على أقوال الفلاسفة . والفرق المادية . والفرق الخارجة مثل البهائية والقاديانية وأمثالها " (١)

غير أن هذا التعريف الاصطلاحى ربما لم يسلم لانه يختلط بالدين الوضعى فى تعريفه . ومن ثم لا يصبح اصطلاحا خاصا بالنحلة بقدر ما هو مشترك بينها وبين غيرها . وعلى لغة المناطقة يكون تعريفا جامعا غير مانع . اذ هو يجمع بين النحلة والدين وغيرهما . بل ربما دخلت اليه الملة من حيث هى أعتقاد صحيح أو فاسد كما لايمنع دخول غير النحلة فى التعريف .

من ثم . فإن هناك تعريفا للنحلة حملته الينا لغة العرب . وجاء به الحديث الشريف . وهو الضعيف الواهى لدقتة . وبالتالى يمكن تعريف النحلة اصطلاحيا بأنها :

---

(١) الدكتور/ أحمد طلعت الغنام . أضواء على النصرانية ص٩

الفكرة الدقيقة ، الواهية التى يتبعها ويدعوا اليها افراد قلائل فيهم ضعف ووهن ، وبالتالى تصير النحلة ضعفا فى فكرتها ، مع وهن ، وضعفا فى أفرادها مع قلة لاتكاد تبين عن نفسها ، تقوم على الادعاء ، ونسبة أعمال الغير لنفسها ، مع تحملها العواقب التى تناط بها ، والمسائل التى تعلق عليها .

ومن أمثال ذلك قديما :

١- نحلة . عبدالله بن سبأ .

٢- نحلة . سجاح الكاهنة .

٣- نحلة . الصابئة . الذين يقولون : الصبوة هى الانحلال عن قيد الرجال ... وتدعى أن مذهبها هو الاكتساب ، ومدار مذهبهم على التعصب للروحانيين(١)

وهم قد أختلفوا فى العالم ، كما أختلفوا فى صانعه ، ثم انتهوا الى أن الفلك حى ناطق سميع بصير ، "وسموا الكواكب التى فيه الملائكة ، وكثير منهم سماها آلهة وعظموا قدرها وعبدوها ، وبنوا لها بيوت عبادات على عدد السبعة الكواكب ، ويدعون أن بيت الله الحرام أحدها . وهى بيت زحل ، وانما بقى لأن زحل يدل على البقاء والثبات وطول المدة .... إلى اخر ما يقولون به . قال القاضى عبدالجبار : "وأعلم أنه ليس فى قولهم الذى حكيناه شيئ الا وقد تقدم فى الابواب التى املبناها فساده " (٢) ويطلق عليهم الامام الفخر الرازى اسم

---

(١) الامام الشهرستانى : الملل والنحل جـ٢ ص٦٣ تحقيق أ- عبدالعزيز محمد الوكيل مؤسسة الحلبى

(٢) القاضى ابو الحسن عبدالجبار الاسد آبادى المغنى فى أبواب التوحيد والعدل جـ٥ الفرق غير الاسلامية ص١٥٢ تحقيق د/ محمود محمد الخضيرى ، د/ ابراهيم مدكور ، د/ طه حسين الدار المصرية للتأليف والترجمه .

الصابئية . ويرى أنهم قوم " يقولون أن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم فهم عبدة الكواكب " (١) على أن الصابئ هو التارك لدينه الذى شرع له إلى دين غيره . والصابئون سموا بذلك لأنهم فارقوا دين التوحيد ، وعبدوا النجوم وعظموها .... وكانوا فى مبدأ أمرهم يسجدون للكواكب . لكن لما كانت الشمس قد تغيب او تختفى وراء الغيوم لذلك اخترعوا صورا للكواكب وسموها باسماء الكواكب . والاوثان المشهورة بين قدمائهم هى :

المشترى .

زحل .

المريخ .

عطارد .

ارطاميس .

يونون .

الزهرة .

ثم عادوا يزعمون أن نفوس العظماء من الموتى هى واسطة بين الله وبين خلقه لذلك أتخذوا صورا لهؤلاء العظماء وسجدوا لها " (٢) وبين القرآن الكريم فساد هذه النحلة وبطلان عبادتها . وكشف عن زيف معتقدها قال الله تعالى " **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون . فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهاروهم لايسأمون** " (٣) أذن الصابئه نحلة قديمة قامت على فكر

---

(١) الامام فخر الدين الرازى + اعتقادات فرق المسلمين والمشتركين ص١٤٣

(٢) عله عبدالرؤف سعد واخر. المرشد الامين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٤٣

(٣) سورة فصلت الأيتان ٣٧ ، ٣٨

ضعيف واهن ولم يتبعها الا أفراد قلائل فيهم من الضعف والوهن ما يجعلهم مجرد نحلة .أما حديثا فالنحل لاتكاد تحصى وليس من اليسير احصاء هذه النحل التى راحت تصف نفسها بأنها جماعة تارة ، وتصف نفسها بأنهم اصحاب مذهب فكرى تارة اخرى ، وثالثة بأنهم اصحاب مدرسة فكرية إلى غير ذلك من الاوصاف والاضافات التى لا تخرج عن المعنى السائد من كونها نحلة ليس إلا . ومن هذه النحل .

١- القاديانية : وهم اتباع غلام احمد القاديانى الذى ادعى النبوة ، وتأول فى كتاب الله ، والقاديانية " احدى المنظمات التى تواجه الدعوة الاسلامية ، إنها نشات فى احضان الاستعمار ، وقامت بماله وتأييده ، واعلنت أن أمر الجهاد قد الغى الآن(١)

٢- البابية : نسبة إلى ميرزا على محمد الشيرازى الذى لقب بالباب ولقب اتباعة بالبابية ، والباب عند الشيعة الاثنى عشرية هو الشخص الممتاز الذى ينوب عن الامام الغائب فى تبليغ تعاليمه إلى اتباعة (٢) كما ان الباب عندهم " وسيلة لمعرفة ما يوجد داخل البناء الذى جعل له باب ، وهو لفظ اطلقه على نفسه أحد دعاة نحلة البابية وهو ميرزا على محمد الشيرازى المتوفى فى تبريز ١٨٤٥م.(٣)

---

(١) الدكتور/ حسن محرم السيد الحوينى .البابية والبهائية والقاديانية ص٧ ط دار الهدى ١٤٠٥هـ /١٩٧٠م

(٢) الدكتوره/ فاطمة محجوب .الموسوعة الذهبية فى العلوم الاسلامية المجلد٧ باب الباء ص٥٥٤ دار الغد العربى بالقاهره

(٣) المصدر نفسه المجلد ص٥٥٤

٣- البهائية : نحلة ضالة كسابقاتها نشأت فى ظروف غير طبيعية كان الاستعمار فيها جاثما بصدره على ديار الاسلام فى الهند ولذلك وجدناها تولد عن البابية " والبهائية نسبة إلى البهاء ، وهو لقب أطلقه على نفسه أحد دعاة هذه النحلة . البابية . بعد الشيرازى وهو حسين على نورى ، الملقب ببهاء الله ، فسميت النحلة ايضا بالبهائية " (١)

لكن على اى اساس قامت البابية ومن بعدها البهائية ؟ الجواب أن البابية قامت على فكر سياسى صرف لم يكن للدين فيه أدنى نصيب فى رؤس القائمين عليها، لكن بدا لهم أن دعوتهم سوف تقابل بالرفض المطلق من ثم استخدموا الدين كغطاء لنحلتهم التى لم تكن دراساتهم فى الدين إلا من خلال الفكر الباطنى الغنوصى ، الذى يمكن القول بانه فكر فلسفى باطنى غنوصى معا .

ومن هذه التشكيلة المختلفة والاشتات المتناثرة جاءت البابية ، وعلى انقاض القيم الدينية المهدمة نمت البابية ، وما هى إلا نبت شيطان تسلق اشجارا وارفة وانى له أن يكون منها وان على غاداتها علا .

" وهذه النحلة اساسها فكر شيعى ، تنتقل مع الدعوة الباطنية عبر التاريخ وظهرت بوضوح من القرن الثالث عشر الهجرى فى ايران والعراق والهند وجزيرة العرب ، تزعمها اولا احمد الاحسائى المتوفى سنة ١٨٢٦م وقال بعض المؤرخين ان ظهورها كان لغرض سياسى اختفى وراء المظهر الدينى ، فان الاحسائى وزميله كاظما الرشتى اصلهما فسيسان استخدمهما الاستعمار

---

(١) المصدر السابق المجلد٧ ولمن أراد المزيد الرجوع اليه ففيه حديث طويل عنهما ومؤلفاتهما ، ومن ألف عنهما أو فيهما من ص٥٥٤ إلى ص٥٥٧

لتشويه محاسن الاسلام ، وتفريق صفوف المسلمين ، كما استخدم القاديانية فى الهند من اجل هذا الغرض"[١] وعلى متن البابية والبهائية ظهرت نحل كثيرة كلها تمتد أصولها منها ، وتعلى قواعدها فوق اكتافها وما واحد منها برشيد .

٤- النصيرية :

٥- الاسحاقية :

٦- هوستباى زيفى :[٢]

٧- الخابطية .

٨- جماعة الشيطان .[٣]

٩- الاخوان الجمهوريون .

١٠- الشعوبية .

١١- التكفير والهجرة .

١٢- هارى كريشنا .[٤]

١٣- الأحمدية .

١٤- العلمانية .

---

(١) المصدر السابق المجلد ٧ صـ ٥٥٤ ولن أراد المزيد الرجوع اليه ففيه حديث طويل عنهما ومؤلفاتهما ، ومن ألف عنهما أو فيهما بن صـ٥٥٤ الى صـ ٥٥٧ .

(٢) يمكن الرجوع الى عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين السلام والنصرانية ماجستير اصول الدين القاهره مخطوط ١٩٨٢ بتقدير ممتاز

(٣) د./ محمد حسينى موسى الغزالى اوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة ص٦٦/١٠٠

(٤) د./ عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الاسلام والنصرانية . مخطوط أصول الدين القاهره ١٩٨٢م

إلى غير ذلك من النحل التى لايمكن حصرها على مستوى العالم العربى أو العالم الاسلامى فما بالك اذا كان المراد حصر النحل على مستوى الفكر الانسانى كله ، أراك تعذرنى ويتأكد لك حسن المقصد منى وسلامة النية ، ولكن كثافة العمل لاتتيح رصد كافة هذه النحل والحديث عنها بالشكل الذى أستشعر معه الرضى . حتى يجد لدى القارئ بعض القبول والى هنا نتوقف عن الحديث عن النحلة فى الاصطلاح أملين الانتقال معا إلى الحديث عن الشريعة ثم الدين والعقيدة والاخلاق والعلاقة بينهما جميعا . فما هى الشريعة ؟

المبحث الثالث

الشريعة فى اللغة والإصطلاح

الشريعة

وردت مادة ـ ش ر ع ـ فى القرآن الكريم عدة مرات لاتجاوز أصابع اليد الواحدة هى :

١- قوله تعالى : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب"(١)

٢- قوله تعالى : " ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وأن الظالمين لهم عذاب أليم " (٢)

٣- قوله تعالى : " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين "(٣)

٤- قوله تعالى : " وأسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون " (٤)

٥- قوله تعالى : " وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما أتاكم فأستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون " (٥)

---

(١) سورة الشورى الأية ١٣ (٢) سورة الشورى الأية ٢١ (٣) سورة الجاثية الأيتان ١٨، ١٩

(٤) سورة الاعراف الأية ١٦٣ (٥) سورة المائدة الأية ٤٨

وقد أحصاها المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم فليرجع اليه من شاء[١] ففيه خير كثير. لمن اراد الرجوع اليه والاسترشاد بما فيه من مادة علمية موثقة. وحيث ان مادة شرع ومشتقاتها قد وردت فى القرآن الكريم فلاشك أنها وردت فى لغة العرب. فما هى الشريعة فى اللغة والاصطلاح ؟

أ- تعريف الشريعة فى اللغة.

المتابع لمعاجم العربية يراها قد تناولت مادة ش ر ع من كافة النواحى حتى جاءت على العديد من المعانى، ومن هذه المعانى ما يلى :

١- ما شرع الله لعباده.

فالشريعة هى : "ما شرع الله تعالى لعباده، والظاهر المستقيم من المذاهب[٢]

٢- النفاذ والخلوص لشئ معين.

شرع لهم ... صار على طريق نافذ

٣- مايبلغ إلى المطلوب.

ومنه قولهم : شرعك مابلغك المحل، أى حسبك من الزاد مابلغك مقصدك

٤- البيان والتوضيح.

ومنه قولهم : أشرع بابا إلى الطريق فتحه وبينه يقول السيد الجرجانى : الشرع فى اللغة : عبارة عن البيان والاظهار يقال : شرع الله كذا " أى جعله طريقا ومذهبا (٣)

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة ش ر ع ص٣٧٨

(٢) القاموس المحيط جـ٤ مادة .ش ر ع .ص٤٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٣) السيد الشريف الجرجانى .التعريفات باب الشين ص١١١

٥- الاشباع والاستغناء :

ومنه قولهم : التشريع ايراد الابل شريعة لايحتاج معها الى نزع بالعلق ، ولا سقى فى الحوض "(١)

٦- البدء بتنفيذ شئ ما .

ومنه قولهم : فلان شرع فى فعل كذا : بمعنى أخذ يفعله مباشرة

٧- الرفعة وعلو الشأن .

ومنه قولهم : شرع البيت . بمعنى رفعه وجعل للسفينة شراعا .

٨- الاستقامة .

ومنه قولهم : الشرعه . المذهب المستقيم . والشريعة : ما شرعه الله لعباده من العقائد والاحكام(٢)

٩- التسوية :

ومنه قولهم : نحن فى هذا شرع . أى سواء .(٣)

والذى يتابع هذه المعانى ويحاول الربط بينها حتما يستخلص منها تعريفا عاما على ناحية اللغة بحيث يمكن تعريف الشريعة فى اللغة بأنها :

ما شرعه الله تعالى لعبادة مستقيما ، يبين به أمور حياتهم وسعادة أخرتهم بحيث يشبعهم ويتم الاستغناء به عن غيره ، متى أستقامت حياتهم فهم أمام الله كالواحد ، وفى شرعه سواء .

---

(١) القاموس المحيط جـ٤ ص٤٣

(٢) المعجم الوجيز مادة .ش ر ع .ص٣٤٠ ، ٣٤١

(٣) المصدر نفسه ص٣٤٠

ولئن كان التعريف المأخوذ من اللغة فيه نوع من الاسهاب ، إلا انه أمر ضروري أقتضته طبيعة الأمر المراد التعرض له بالتعريف ، على ماسلف بيانه فما هي الشريعة في الاصطلاح .؟

ب- الشريعة في الاصطلاح .

أختلفت وجهات المتناولين لها بأختلاف اتجاهاتهم الثقافيه والعلمية والدينية . فبعضهم مال الى أحد التعاريف اللغوية أو بعضها ، وبعض أخر مال اليها على ناحيه اصولية كما فعل علماء الاصول وصنف أخر مال الى تعريفها بطريقة مقابلة لمسائل العقيدة الايمانية حتى قالوا أن الشريعة هي الجانب العملي من الدين ، بينما العقيدة هي الجانب النظري فيه ، ولكل وجهة ، ولسنا مع واحد من هؤلاء ولانحن بخصوم لهم ، انما سنتناول المسألة مقسمة في اتجاهات المتناولين لها على النحو التالي :

١- في اصطلاح علماء الاصول :

قال التهانوي : الشريعة : ماشرع الله لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء صلى الله عليهم وعلى نبينا وسلم سواء كانت متعلقة بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية ودون لها علم الفقه أم بكيفية الاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية ودون لها علم الكلام (١) .

وعرف ابن حزم الشريعة فقال :

---

(١) محمد علي التهانوي كشاف اصطلاحات الفنون مادة شريعة المجلد الأول صـ٨٣٥ ط الأستانه .

" الشريعة : هى ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه ﷺ فى الديانه وعلى السنة الانبياء عليهم السلام قبله "(١)

ثم يتحدث عن أصلها اللغوى كلفظ لغوى له معنى من جنسه . فقال : واصلها فى اللغة الموضع الذى يتمكن فيه ورود الماء للراكب والشارب من النهر(٢) ... ثم يستدل على تعريفه الذى مال اليه بكل من النقل والشعر . فيذكر قوله تعالى :

" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه "(٣)

كما يستشهد بقول أمرئ القيس

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائضها دامى(٤)
تيممت العين التى عند ضارج(٥) يفئ عليها الظل عرمضها(٦) طامى(١)

(١) الامام ابن حزم الاندلسى . الإحكام فى أصول الأحكام المجلد الثانى جـ١ ص٤٦ ط. دار الحديث بالقاهره ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

(٢) المصدر نفسه المجلد الاول جـ١ ص٤٦ (٣) سورة الشورى الآية ١٣

(٤) الفرائض : جمع فريضة : وهى : العضلة الصدرية . وعليها يقال : ارتعدت فرائضه " المعجم الوجيز ص٤٦٦"

(٥) الضارج : المبالغ فى تحسين الكلام وتزويقه . المعجم الوجيز ص٣٧٨ مادة خرج

(٦) عرمضها : العرمض : النبت الصغير من شجرة العضاة أو صغار الصدر والاراك ومن كل شجر لا يفطم ابدا . وغرمض الماء عرمضه وعرماضا طحلب القاموس المحيط جـ٢ ص٣٣٤ باب الضاد فصل العين

(١) ابن حزم . الإحكام فى اصول الأحكام المجلد الاول ص٤٦

وكما عرفها فقد الزم نفسه ذكر اقسام لها وجعل تحت بعضها فروعا لكل قسم حسب تصوره .

القسم الاول : شريعة تعتقد ويلفظ بها .

القسم الثانى : شريعة تعمل ، أو شريعة العمل ، على أن تكون الأولى شريعة الاعتقاد

ثم يقسم شريعة العمل الى :

١- شريعة العمل فى المال

٢- شريعة العمل فى الابدان .

ومن ثم فقد جاء قوله شارحا لما سبق ذكره فيقول : الشريعة تنقسم الى قسمين: شريعة تعتقد ويلفظ بها ، وشريعة تعمل ، وتنقسم هذه الشريعة قسمين: قسم فى المال ، وقسم على الابدان ، فأما شريعة الاموال فهى لازمة لكل صغير وكبير وجاهل بها وعارف ، ومجنون وعاقل ، لدلائل من النص وردت على العموم فى الزكاة والاجماع على وجوب النفقات عليهم ، وأما شرائع الابدان والاعتقاد فإنها تجب بوجهين :

أحدهما البلوغ مبلغ الرجال والنساء ، وهو البلوغ المخرج عن حد الصبا .

والثانى . بلوغ الشريعة الى المرء (١)

بيد أن تعريف ابن حزم للشريعة على الناحية الاصطلاحيه يمثل وجهة نظر من مطروحات الفكر الاصولى ويبدو أن تقسيم ابن حزم للشريعة فى مقابلة العقيدة قد وجد من يقف بجواره يؤيده حتى قال بعض الباحثين ."

---

(١) ابن حزم . الإحكام فى اصول الأحكام المجلد الثانى جا ص١٠٩

الاسلام عقيدة وشريعة ، والمسلم يحتاج الى دعامتين اساسيتين يقيم عليهما دينه وحياته الدنيوية .

الدعامة الأولى :العقيدة

واساسها : الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

الدعامة الثانية الشريعة :

واساسها اقامة الشعائر التى افترضها الله علينا وبينها لنا الحديث الشريف الذى يقول : بنى الاسلام على خمس شهادة أن لاآله إلا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع الى ذلك سبيلا " (١)

وهذا التقسيم فى ظاهره للدين وليس للشريعة على اساس أن الدين السماوى يحمله جناحان لاثالث لهما . أو قسمان فقط الاول عقيدة ، والثانى شريعة يقول أحد الباحثين .

" ينقسم الدين السماوى الى عقيدة وشريعة .

اما العقيدة : فهى الجانب النظرى فى الدين وهى جوهره واساسه . وهى القاسم المشترك بين كل ما نزل من السماء من أديان . وهى عنصر الوحده فى هذه الاديان...

---

(١) د/حمزه النشرتى وآخرون - سلسلة الفقه على المذاهب الاربعة المجلد الاول ص٢٩ ط دار الغد العربى بالقاهره

أما الشريعة : فهى الجانب العملى فى الدين ، وهى فرع عن العقيدة ، وهذه تختلف فى دين الله من نبى الى نبى ، ومن امة الى امة " (١)

على أنا سنترك امر هذه التقسيمات الآن على أن نتناولها فى المقارنه بين كل المعانى التى سوف نقف عليها اثناء تناولنا للعلاقات بين كل من .

١- الملة .

٢- النحلة .

٣- الشريعة .

٤- الدين .

٥- العقيدة

٦- الأخلاق

وحتى لايكون فى القول نوع تكرار، سنرجئ ذكر هذه الأمور المتعلقة بالشريعة مادامت غير متعلقة بالتعريف الاصطلاحى لها .

ب- فى اصطلاح المفسرين .

- الراغب الاصفهانى :

يرى الشرع مصدرا... ثم جعل اسما للطريق النهج . فقيل له شرع وشرع وشريعة واستعير ذلك للطريقة الالهية قال تعالى : " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" (٢) فذلك اشارة الى أمرين :

---

(١) الدكتور / محمود محمد مزروعه - دراسات فى الملل والنحل جـ١ ص٢٢،٢١ مطبعة العاصمة ١٣٩١هـ/١٩٧١م

(٢) سورة المائدة الآية ٤٨

<u>أحدهما</u> : ما سخر الله تعالى عليه كل أنسان من طريق يتحراه مما يعود الى مصالح العباد وعمارة البلاد ، وذلك المشار اليه بقوله تعالى: " ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا " (١)

<u>الثاني</u> : ما قيض له من الدين وامره به ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ ودل عليه قوله تعالى : " ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها " (٢)

ثم قدم تفرقه بين كل من الشريعة والمنهاج وبين ان الشرعة مخصصة بالقرآن بينما المنهاج تخصص له السنة وذكر ان هذا هو المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما " قال ابن عباس :

الشرعة : ما ورد به القرآن والمنهاج : ما ورد به السنة.

ولم يقف مجهوده عند حد التعريف الاصطلاحى ، وانما انتقل الى الحديث عن اسم الشريعة ولماذا سميت شريعة وبين موقفها من الحقيقة والمجاز ، ودعم ما انتهى باقوال الحكماء ، والاصل اللغوى . فقال .

" سميت الشريعة شريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث ان من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روى وتطهر : قال واعنى بالرى ما قال بعض الحكماء : كنت اشرب فلا اروى فلما عرفت الله تعالى رويت بلاشرب وبالتطهر " (٣)

---

(١) سورة الزخرف الأية ٣٢

(٢) سورة الجاثية الأية ١٨

(٣) الراغب الاصفهانى . المفردات فى غريب القرآن مادة شرع ص٢٥٨

٢- اصطلاح علماء العقيدة :

يرى احد الباحثين أن " الشريعة : هى الجانب العملى فى الدين ، وهى فرع عن العقيدة ، والشريعة تختلف من نبى الى نبى ، ومن امة الى أمة ... وهذا الاختلاف فى الشريعة لم ينتج عن ضرورة فى ذاتية الدين نفسه ولكن نتج عن اختلاف ظروف وبيئات كل قوم او امة ممن أرسل اليهم الرسل . وفى هذا رحمة من الله ولطف على عباده لتتناسب كل شريعة مع عادات وظروف وبيئات كل جماعة.(١)

ونفس العبارة سبق القول بها من جانب أحد العلماء حيث يقرر ان الشريعة هى : " الجانب العملى فى الدين ، وهى فرع العقيدة، وهذه تختلف فى دين الله من نبى الى نبى ، ومن أمة الى أمة يقول الله تبارك وتعالى - مشيرا الى اختلاف الشريعة من رسول الى رسول ومن امة الى امة : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ....

وهذا الاختلاف فى الشريعة لم ينتج عن ضرورة ذاتية فى الدين نفسه ولكنه اتى نتيجة لظروف الاقوام الذين نزل عليهم هذا الدين ونتيجة لاختلاف هذه الظروف فلقد كانت البشرية فى اول عهدها ساذجة لاتستطيع أن تتلقى الدين كاملا اوتحمل الأمانة مستوفاه ، ولذلك كان من رحمة الله أن ينزل على كل امة من الشريعة ماتطيق ، وأن يكلفها من الاعمال ما يتفق مع ظروفها ، وما يتواءم مع ما وصلت اليه من كمال " (٢)

---

(١) الدكتور/ أحمد طلعت الغنام . أضواء على النصرانية ص١٧ مطبعة الفجر الجديد ١٩٨٧م

(٢) الدكتور /محمود محمد مزروعة . دراسات فى الملل والنحل جا ص٢٢،٢٣ مطبعة العاصمة ١٣٩١هـ/١٩٧١م

وربما يجمع العبارتين مع تركيز شديد ، أو أن العبارتين تفصيل طويل لما ذكره الامام الشهرستانى وأن كانت عبارة الشهرستانى قد أفاضت رغم تركيزها فى أمر آخر هو أن " الشريعة ابتدأت من نوح عليه السلام قال الله تعالى ، " **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا** ".(١) والحدود والاحكام ابتدأت من أدم ، وشيث ، وادريس عليهم السلام ، وختمت الشرائع والملل والمناهج والسنن باكملها وأتمها حسنا وجمالا بمحمد ﷺ (٢)، قال الله تعالى " **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** " (٣)

وطبقا لما ذهب اليه رأى من سلف تكون الشريعة قسيم العقيدة وليس قسما منه وتكون العقيدة والشريعة جزأين من أجزاء ثلاثة هى أجزاء الدين ككل لان المشهور هو أن الدين أجزاء هى :

١- عقيدة : وهى تقوم على أجزاء ستة جاء بها الحديث الشريف فى قولة ﷺ : " الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " (٤) والاصول الستة التى جاءت فى الحديث الشريف هى اركان الايمان ، والاصول التى بعث الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام ، ونزلت بها الكتب ، ومن ثم فلا يتم ايمان واحد من المكلفين إلا اذا أمن بهذه الاصول جميعا .. وهى تمثل عقيدة واحدة ذات اجزاء فمن أمن بها كلها فهو المؤمن .

---

(١) سورة الشورى الأية ١٣ (٢) الامام الشهرستانى ، الملل والنحل جا ص٣٠

(٣) سورة المائدة أية ٣

(٤) الامام البخارى - صحيح البخارى وفتح البارى جـ١ ص٩٦،٩٧ عن أبى هريرة ورواه مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه - صحيح مسلم لشرح النووى جا ص١٥٧

ومن شك فى واحدة منها او كفر فلا ينفعه ايمانه بالاغلب الاعم لان العقيدة الايمانية عند المسلمين لا تقبل الانفصال ، وأن كانت الاديان الاخرى يرى اتباعها والقائمون عليها أنها عقائد يصح للواحد منهم اعتناق بعضها وترك الآخر وفى ذات الوقت يوصف بدينهم فيقال عليه يهودى أو نصرانى مثلا . فليس الاسلام كذلك بل هو عقيدة واحدة لها أجزاء لاتنفصل واحدة عن الآخرى الا فى المفهوم والدلالة (١) ، ولكن الغرض فيها جميعا واحد .

٢- شريعة : وهى ما شرعة الله تعالى لعباده على السنة رسله ليصح به صدق ايمانهم وتسلم لهم حياتهم وتخلص لهم اخرتهم . يقول ابن حزم . رحمه الله .

" أن احكام الشريعة كلها . اولها عن آخرها تنقسم ثلاثة اقسام لارابع لها ثم يبين أن هذه الاقسام هى :

القسم الاول : الفرض : هو الذى يجب اعتقادة ، والعمل به مع ذلك الاعتقاد ، وهو من هذه الناحية فرض فى الاعتقاد والعمل معا .

القسم الثانى: الحرام : وهو الذى يجب اجتنابه قولا ونية وعملا ، وعلى أية ناحية يقع حراما يجب الابتعاد عنه ، بل والاجتناب المطلق وعدم الاقتراب من ساحته. والا كان وقوعا فى الحرام الذى حرمه الله تعالى .

القسم الثالث : الحلال : هو المباح فعله وتركه فإن فعله المرء حلالا فهو حلال ، وأن تركه المرء حلالا فهو فى تركه حلال بمعنى أنه تساوى فيه الاداء والامتناع . ويدخل فى هذا القسم كل من المكروه والمندوب باعتبار أن المكروه والمندوب لايقع الاثم على فعل الاول . المكروه . ولايقع الاثم على تارك الثانى - المندوب . ومن ثم امكن ادراج المندوب والمكروه تحت الحلال .

(١) الدكتور / محمد حسينى موسى الغزالى - الايمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ص١٨٨ ط شروق ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م

يقول ابن حزم :

أن أحكام الشريعة كلها تنقسم ثلاثة اقسام لا رابع لها : وهى فرض لابد من اعتقادة والعمل به مع ذلك ، وحرام : لابد من اجتنابه قولا وعقدا وعملا ، وحلال مباح فعله ومباح تركه ، واما المكروه والمندوب اليه فداخلان تحت المباح على مابينا من قبل ، لان المكروه لا يأثم فاعله ، ولو أثم لكان حراما ، ولكن يؤجر فاعله والمندوب اليه لا يأثم تاركه ، ولو أثما لكان فرضا ولكن يؤجر فاعله.(١)

ويبدو أن ابن حزم كان يذكر اقسام الحكم الشرعى وانها خمسة هى :

١- الحلال

٢- الحرام :

٣- المباح :

٤- المكروه :

٥- المندوب :

وهى غير اقسام الحكم العقلى التى هى :

١- الوجوب :

٢- الامكان .

٣- الأستحالة

ويجدر بنا ان نقدم تعريفا للحكم مطلقا ، وتعريفا له على سبيل الاصطلاح حتى يكون القارئ على الما بمبادئ ما سوف يقطع البحر على الواحه : فما هو الحكم مطلقا ؟

---

(١) الامام ابن حزم الاندلسى .الإحكام فى اصول الأحكام .المجلد الثانى جـ٨ ص٤٩٦ ط دار الحديث

أ- تعريف الحكم مطلقا :

يعرف الحكم بأنه أسناد امر الى اخر ايجابا أو سلبا ... كما يعرف بانه : وضع الشئ فى موضعه وقيل :هو ماله عاقبة محمودة.(١)

هذا عن الحكم مطلقا من غير مراعاة اصطلاحات المناطقة أو البلاغيين . كما لم ينظر الى اصطلاح علماء البحث والمناظرة فضلا عن علماء الاصول والفقهاء ورجال القانون ، بل وغيرهم ممن يستخدمون لفظ الحكم ومدلوله . ولذا أرى أن هذا التعريف للحكم مطلقا غير مقيد الابالقيد الذى يخصصه لان اطلاقه هكذا يجعله منصرفا الى اعم معانيه وذلك لا يفيد فى تقدم العلوم التى تحتاج الى الدقة والاضطراد .

فما هو الحكم فى الشرع ؟

ب- تعريف الحكم عند علماء الشريعة .

يقولون : " الحكم الشرعى : عبارة عن حكم الله تعالى المتعلق بافعال المكلفين" (٢)

أما الاصوليون فقد عرفوه بأنه : " خطاب الله تعالى المتعلق بافعال المكلفين أقتضاء أو تخيرا أو وضعا . والخطاب هو فى الحقيقة دليل الحكم . وانما يسمى حكما لتضمنه اياه" (٣) وسواء جاء تعريف الحكم بأنه عبارة عن الحكم الالهى أو الخطاب الالهى فالمعنى واحد كل ما فى الأمر أن عبارة عن

(١) الشريف الجرجانى . التعريفات مادة حكم ص٨٢ ط الحلبى

(٢) المصدر السابق ص٨٢

(٣) الدكتور / على حسب الله ـ أصول التشريع الاسلامى ص٣٧٥ ط دار المعارف بمصر ١٩٧٦م

حكم انما يمثل الحكم الالهى مباشرة . أما لفظ خطاب الله فإنه ذكر الوسيلة التى تم بها نقل الحكم . والخلاف فى العبارة المؤدية فقط وليس خلافا فى المعنى يقع به صحيح قول أو فاسده . فما هو القسم الثالث من اقسام الدين أو أجزائه.

٢- الأخلاق : المعروف أنه " ترتكز الأخلاق الاسلامية على العقيدة الدينية التى تربط الانسان بخالقه . فما هى الا نتاج هذه العقيدة فى النفس تأثيرا وتفاعلا . وبمقدار ما يتمتع به الانسان من طاعة ربه ورعاية لحرماته فى سلوكه واسلوب حياته بمقدار ما يكون عليه من الخلق الانسانى الكريم . فليست الأخلاق إلا الترجمة العملية للعقيدة الاسلامية المستكنة فى النفس الانسانية"(١)

وأن هذه الاخلاق الاسلامية فى الدين تتسم بعدة صفات منها .

١- العموم ..

٢- الثبات ..

٣- الكمال ..

٤- الالزام السماوى

" بهذه الصفات والسمات يتحقق طابع الأخلاق الاسلامية فتسمو على كل المذاهب والنظريات الأخلاقية التى لاتزال حائرة تنشد المقياس الخلقى الثابت ولن تكون طلبتها إلا فى الهدى الالهى المحكم " (٢)

(١) الدكتور / أحمد عبدالحميد الشاعر . مناهج البحث الخلقى فى الفكر الاسلامى ص٤٠ ط١ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الطباعة المحمديه

(٢) المصدر السابق ص٤٤،٤٥

بيد أن تعريف الأخلاق على ناحية اصطلاحية ربما يقرب المعنى المراد .
ومن ثم فلا مانع من القول بأن الأخلاق عرفت بالعديد من التعريفات منها انها
" حب الفضائل وعمل الخيرات مع العلم بها ، والقيام بالواجبات مع تقديرها ،
دون انتظار المقاضاة للأجر عن نتائجها ، وكذلك بغض الشر لذاته ولآثاره معا ،
ولاتكون الأخلاق سليمة حتى يغمر التكامل جميع خصائص الانسان ومواهبه ،
سواء كان فى شكل نزعات روحية ، أو نزوات غريزية تحولت للتسامى ، وكلها -
الأخلاق ، بالتسامى تؤدى الى التعقل ، وأن لم تصل للكمال المطلق الذى هو الله
وحده "(١)

وبهذا يمكن القول : بأن " الأخلاق هى ذات سلوك الكائن الانسانى على
نحو ما تصدر عنه " (٢) مباشرة

من غير ذكر لمراقب هذا السلوك أودارسه ، وهذه الأخلاق تمثل أحد اجزاء
الدين الاسلامى طبقا لما مر ذكره .

---

(١) الأستاذ/ محمود ابوالفيض المنوفى - تهافت الفلسفه عند درك الحقيقة المطلقة
ص٣٩ ط دار نهضة مصر ١٩٧٠م

(٢) الدكتور/ محمد حسينى موسى الغزالى ، لحوة المشتاق فى ربوع الأخلاق ص١٨ مكتب
الاصدقاء ١٩٩٦

المبحث الرابع

العقيدة فى اللغة والإصطلاح

العقيدة

العقيدة هى أسمى ما يحافظ عليه المعتقد . بل وأرقى الأمور بالنسبة لصاحبها إنها علاقتة بالخالق العظيم جل علاه . وعلى أساس صحتها أو فسادها يتحقق للناس أمر السعادة إن كانت العقيدة صحيحة . أويقع لهم أمر الشقاوة متى كانت العقيدة فاسدة . أوغير صحيحة . بل إن الأمال الحقة تزكو من خلال العقيدة السليمة . وسلامة المجتمعات تحققها العقيدة ليس إلا .

بيد أن لفظ العقيدة يمثله مصطلح يقف بجوار اللغة بحيث يتحدد المعنى المراد ذلك لأن " المصطلح العلمى هو اللفظ الذى يقف عليه العلماء ليدلوا به على شىء محدود . ويميزوا به معانى الاشياء بعضها عن بعض (١) متى كانت المعانى متقاربة واللفظ واحد كما هو الحال فى لفظ العقيدة الذى يطلق على :

١- **التأكيد** : ومنه قولهم . عقدت اليمين بمعنى أكدته . وربما استدل له بقوله تعالى " لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان"(٢) وأنه " يدل على توكيد اليمين نحو والذى لاإله الا هو " (٣)

٢- **مايدين به الانسان** : ومنه قولهم : العقيدة مايدين الانسان به . وله عقيدة حسنة سالمة من الشك والبطلان .

٣- **الشيء الموثق** : ومنه قولهم : العقدة مايمسكه ويوثقه .

٤- المعاهدة والمعاقدة . ومنه قولهم عقدته عليه بمعنى عاهدته(٣).

---

(١) الاستاذ /سعيد زايد - مفاتيح العلوم للخوارزمى ص٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ أولى .

(٢) سورة المائدة الأيه ٨٩ .

(٣) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين جـ١ صـ٥٢١ ط دار المنار .

٥- الأحكام والابرام : ومنه قوله تعالى : عقدة النكاح فى قوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله .

٦-مايختفى فى القلب والضمير: ومنه جاء القول " عقدت عليه قلبى وأخفيته فى ضميرى .

٧-الجمع مع الاتقان ، ومنه قولهم : اعتقدت مالا أى جمعته " (١).

٨- الغموض : ومنه قولهم : هذا رأى غامض أى معقد ، وكلام معقد أى غامض غير واضح (٢)

٩- الكثافة والسمك ، ومنه قولهم عقد عقد الرب بمعنى غلظ سمكا وزاد كثافة .

١٠- الضيعة : وقد أطلق فقيل عقدة الضيعة .

من هذه المعانى وغيرها تردد أسم العقيدة ، كما ترددت مادة ع ق د . وبالتالى يمكن القول بأن مادة ع ق د . لها فى لغة العرب دلالة واضحة محددة ، وأن اختلفت تلك المعانى فيمابينهما الاأنها فى النهاية تؤدى إلى معنى عام يمكن استخلاصه منها جميعا ، ويكون بمثابة الدليل عليها والتعريف بها ويمكن تعريف العقيدة فى اللغة بأنها .

ما يدين به المرء مؤكدا عليه ، مع الاحكام والتعاهد على القيام بتبعاته . وهذا التعريف ليس حديا بمعنى أنه ليس من التعاريف المنطقية التى تكون جامعة مانعة وانما هو من قبيل التعاريف القاموسية التى يراعى فيها الاقتباس اللغوى وحده .

---

(١) المصدر السابق ص٤٢١ .

(٢) مختار الصحاح مادة عقد ص٤٦٨ .

كما يمكن تعريفها فى اللغة بأنها : مايضمر فى القلب ، وتنعقد النية عليه بشكل كامل ، وليس هذا التعريف الوحيد فى ميدان اللغة ، وأنما بجانب هذين التعريفين يوجد أخر مؤداه أن العقيدة هى جملة مايعتقد . فإذا أردنا التركيز على هذه التعريفات اللغوية ووضعها فى ترتيب تبدو فيه العبارة الموجزة أمكن ذلك على النحو التالى :

أ- العقيدة فى اللغة هى جملة ما يعتقد .

ب- العقيدة فى اللغة هى مايضمر فى القلب ، وتنعقد النية عليه بشكل كامل .

جـ- العقيدة فى اللغة هى ما يدين به اتلمرء مؤكدا عليه ، مع الأحكام والتعاهد على القيام بتبعاتة .

فما هو تعريف العقيدة فى الاصطلاح ؟

٢- العقيدة فى الإصطلاح .

من المعلوم أن لكل قوم أصطلاحاتهم الخاصة بهم ، وقد قيل : لامنشاحة فى الاصطلاح ، لأنه يعنى وجود قاعدة مشتركة بين قوم مخصوصين ، وفى ناحية من العلم محددة ، من ثم سنحاول التركيز على ذكر أصطلاحات بعينها يقوم عليها البحث ويتحقق بها أداء الغرض ، فلنبدأ بذكر رأى علماء التفسير وبخاصة أن مادة -عقد - وردت فى القرآن الكريم على نحو محدد وفى أيات بعينها وهى :

١- قوله تعالى : " ولاتعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله وأعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فأحذروه وأعلموا أن الله غفور رحيم"(٢)

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم صـ٤٦٨ مادة ع ق د .

(٢) سورة البقرة الأيه ٢٣٥ .

٢- قوله تعالى : " وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذين بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولاتنسوا الفضل بينكم أن الله بما تعلمون بصير "(١)

٣- قوله تعالى : "ولكل جعلنا موالى مماترك الوالدان والاقربون والذين عقدت أيمانكم فأتوهم نصيبهم أن الله كان على كل شيء شهيدا"(٢).

٤- قوله تعالى : " لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته أطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبه فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون " (٣).

٥- قولة تعالى : " ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم أن الله يحكم مايريد " (٤)

٦- قوله تعالى " قال رب أشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وأحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى " (٥).

٧- قولة تعالى " قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد"(٦) ولذا سأحاول إيراد آراء علماء التفسير فى المسألة وبخاصة أن علماء التفسير يلتزمون هذا المنهج حتى تقرر أن لكل علم أصطلاحه الخاص به من حيث مفرداته ومنهجه وقضاياه ومسائله والغاية . والأصطلاح فى العصر الحديث صار سمة ضرورية

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٧ . (٢) سورة النساء الآية ٣٣ . (٣) سورة المائدة الآية ٨٩ .
(٤) سورة المائدة الآية ١ . (٥) سورة طه الآية ٢٥ - ٢٧ . (٦) سورة الفلق .

حتى كان علما بل " هو جزء من المنهج العلمى ، وركن أساسى فى كل علم (١)

ومن ثم سنحاول التعرف على رأى هؤلاء العلماء وذلك على النحو التالى :-

أولا علم التفسير.

قدم الراغب الأصفهانى المعانى التى يمكن قبسها من مادة ع - ق - د ويؤكد أن هناك للكلمة أستعمالا أصليا وأخر منقولا على سبيل الأستعارة للمعانى فيقول : " عقد العقد هو الجمع بين أطراف الشيء ، ويستعمل ذلك فى الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ، ثم يستعار ذلك للمعانى نحو عقد البيع والعهد وغيرهما فيقال : عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه(٢) .

وهو بهذا يميز بين أمرين .

أحدهما الاستعمال الأصلى المراد به الحقيقة اللغوية وعليه يكون العقد هو الجمع بين أطراف الشيء والتثبيت عليها . فمثلا جمع طرفى الحبل والتثبيت عليها والتأكيد فيها يسمى عقد حبل ، وجمع أطراف الثوب ثم الضغط عليها والتثبت منها يسمى عقد ثوب ووضع لبنات بجوار بعضها ثم يربط عليها بواحدة منها حتى يتماسك الجميع ضاما طرفى البناء وأطرافه يسمى عقد بناء وهكذا فأن كل شيء له طرفان أو أكثر متى جمع بعضها إلى بعض ، وضم بعضه على بعض فإنه يسمى عقدا .

ثانيها الاستعمال المجازى حيث نبه الشيخ الى انه أنا كان الأصل فى العقد هو الحسيات والاجسام الصلبة ، فإن لفظ العقد يمكن أستعماله فى المعنويات

---

(١) الأستاذ / سعيد زايد ، مفتاح العلوم للخورزمى هـ٥ .

(٢) الراغب الاصفهانى المفردات فى غريب القرآن صـ٣٤١ كتاب العين .

كما أستعمل فى الحسيات ، لكن فى هذه الحاله يكون أستعمالا على سبيل المجاز العرفى لا على سبيل الحقيقة اللغوية (١) وضرب لذلك أمثلة عدة أنتهى بعدها إلى أن العقد يمكن أستعماله فى غير ما وضع له حقيقة على سبيل النقل من الحقيقة الى المجاز (٢) ، أو الاشتقاق كل حسب أقتضاء الضرورة له .

ونزيد الأمر بيانا فنقول : إذا كان الأصل اللغوى هو أستعمال كلمة العقد فى الحسيات لكونها منضبطة فى الأجسام الصلبة فاذا نقل لفظ العقد الى المعانى مستعملا لها فلا يكون الاطلاق الاصلى هوا لمراد وأنما يكون المراد شيئا أخر فمثلا الفكرة ، أو النية ، أو الضمير ، وما شابة ذلك أمور معنوية فإذا قال القائل عقد الفكرة ، ويقصد أنه جمع أطراف الفكرة المرادة ثم أكد عليها بحيث تكون تلك الفكرة عنده ثابتة فلا شك أن هذه الفكرة ليست من الأجسام الصلبة وبالتالى يكون أستعمال لفظ العقد فيها من قبيل الاستعمال فى المعانى المنقول اليها اللفظ وليست على سبيل الأصل اللغوى الذى وضع لكلمة عقد . وقس على ذلك سائر المعانى مع ملاحظة ضرورة وجود علاقة بين اللفظ والمعنى المنقول اليه أو المنحوت له أو المشتق وبين المعنى الأصلى الذى وضع له فى حقيقتة اللغوية . وأقربها هو المجاز اللغوى أو المجاز العقلى .

وهكذا فإنه يمكن تسمية الأشياء المعنوية ، وغير الصلبة . عقدا متى جمع طرفاها لكن على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة على ماسبق بيانه من ثم يمكن القول بأن العقيدة فى المعانى هى جمع أطراف الرأى بعضها الى بعض مادامت من جهه واحدة ، وفى جهه واحدة ، والتثبت عليها مع التأكيد حتى تصير بالنسبة لصاحبها أمرا معقودا يصعب عليه الانفكاك منه أو التخلى عنه .

(١) الحقيقة هى استعمال اللفظ فيما وضع له حقيقة .

(٢) المجاز : هو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له حقيقة لعلاقة وقرينة مانعة من ايراد المعنى الأصلى .

أنواع العقيدة

١- العقيدة الصحيحة :

وهى التى تتعلق بالله سبحانة وتعالى على الوجه المراد شرعا وتسمى العقيدة الالهية حيث تشمل الاعتقاد وبوجود الله سبحانة وتعالى بما يجب له من صفات الجلال والكمال والاكرام ، وما يستتبع ذلك من الايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر والقضاء والقدر.

وهذه العقيدة الحقة بلغ بها المرسلون ، وجاء بها النبيون ، تمثلوا أجزاءها وعرفوا الناس أركارنها بل وجاء ذكرها فى القرأن الكريم والسنة النبوية المطهره ولانجاة للمرء إلا بالايمان بها والتمسك بما فيها مع الالتزام والاتقان .

قال تعالى " **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير**" (١) .

وقال تعالى : " **قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** " (٢) .

وقال تعالى :" **قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل أسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** " (٣) .

---

(١) سورة البقرة الأية ٢٨٥.

(٢) سورة آل عمران الأية ٨٤ .

(٣) سورة البقرة الأية ١٣٦ .

وهذا الاطلاق قد أنصب على العقيدة الحقة ، العقيدة الصحيحة كما هو الشأن فى ألاستدلال بالأيات القرآنية على أمر العقيدة الالهية بل الحديث الشريف نص عليها مباشرة كذلك فى قوله ﷺ الأيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١) إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التى تحدث عن العقيدة السليمة التى يقف المرء حيالها مهيئا نفسه لها .

قال صاحب الانتصاف : فى قوله تعالى " لانفرق بين أحد منهم : فيه دليل على أن النكرة الواقعة فى سياق النفى تفيد العموم لفظا حتى يتنزل المفرد فيها منزله الجمع فى تناولة الأحاد مطابقة (٢) فكأنه قصد عدم التفرقة بين كل واحد واحد كما نفى التفرقة بين الجميع ، وبالتالى يكون الجميع فى مقابلة كل واحد من أفراده وهى نكتة لطيفة ، إذن العقيدة الصحيحة واحدة وهى التى جاء بها الأنبياء والمرسلون ، وتحدثت عنها الكتب التى سلمت من أنواع التحريف وليس هناك واحد منها بقى سالما من أيدى العابثين سوى القرآن الكريم .

٢- العقيدة الباطلة .

وهى إعتقاد فاسد لايطابق الواقع ، ولايقوم على دليل صحيح ، كاعتقاد الكفرة فى الثالوث والنبوة لله من العزيز أو المسيح ، أو ضيق اليد بالنسبة لله على مايزعمه اليهود عليهم لعنات الله وكاعتقاد عدم ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ ، أو التكذيب باليوم الأخر ، أو أنكار البعث والحشر على ماورد به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . أو أعتقاد أن العالم قديم بذاته ، أو أن الاله خلق

---

(١) هذا حديث صحيح متفق عليه ويعرف بحديث جبريل عليه السلام .

(٢) الأمام - أحمد بن المنير الاسكندرى - الانتصاف على كشاف جـ١ صـ١٩٥

العالم ثم اختفى إلى غير ذلك من العقائد الباطلة ، والتى لايطلق عليها اسم العقيدة الاتجاوزا وعلى ناحية اللغة فقط .

والعقيدة الباطلة أنواع ولذلك فهى تتعدد ويقال عليها عقائد ، أما العقيدة الحقة فواحدة ولها أجزاء يكمل بعضها البعض الأخر على ما هو وارد فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة كما أن العقيدة الحقة لايصح الايمان ببعضها والكفر بالبعض الآخر والا كان كفرا بالجميع ، قال تعالى " إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين أمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما " (١)

أما العقيدة الفاسدة فلا حرمة لها ولا أحترام فالأيمان ببعضها وترك البعض الأخر لايقدم فيها ولايؤخر منها ، كما أنها عقيدة غير قويمة لافى الدنيا ولافى الأخرة .

٣- العقيدة اللفظية .

وهى إستعمال شائع يتلفظ بها غالبية الناس حين يقولون مثلا : أعتقد أن فلانا صادق ، وأعتقد أن هذا العام خير من سابقه ، وأعتقد أن فريق كذا سوف ينتصر على الفريق الأخر . إلى غير ذلك من الأمور التى يستخدم فيها الناس لفظ أعتقد وهؤلا يعنى به الإيمان أو الكفر ، وأنما بقصد تأكيد القول بما يتوقعة ولو أستخدم لفظ يغلب على ظنى أو أننى أتوقع لكان الأمر بعيدا عن ميدان يصلح فيه القول بصلاح النية وتفسد فيه النية لفساد الفعل .

---

(١) سورة النساء الأيقان ١٥١/ ١٥٢ .

وكثيرا ما يتداول الناس لفظ أعتقد قاصدين به أنجاح مهمة . أو صدق توقع

بل ربما وصل بهم الأمر درجة الامساك بأطراف المسألة وجمعها الى بعضها

فنصبر عادة يتناجى بها صغيرهم والكبير، بحيث يمكن أعتبارها قاعدة عندهم .

وأمرا مهما فى حياتهم . وكلها بجمعها لفظ العقيدة لاعتناقا . وهى من الكثرة

بما لايمكن حصره . فمثلا .

١- الاطباء .

٢- المهندسون .

٣- الفنيون .

٤- أصحاب النجوم والطالع .

٥- أصحاب الارصادات الجوية .

٦- أصحاب المهن والحرف .

كل منهم يستخدم لفظ أعتقد للتعبير عن دقته فى ابحاثه . أو صدق توقعه .

إلى أخر هذه الأمور التى تتعلق بتخصصاتهم ويؤكدون بها أقوالهم وهى ليست

العقيدة الالهية كما أنها ليست مرادة عندهم وإلا وقع الشرك والبطلان .

٤- عقيدة الكلام ليقال .

وهى تقوم على أن المراد بالكلام مجرد القول بحيث يصير هذا الامر اعتقادا

بجانب ممارسته وهى عقيدة ضارة " ولا أضر على الأمة من هذه العقيدة عقيدة .

أن الكلام يقال ليقال فقط . فإنها هى طابع الهزل على أخلاق الأمة وعلى كل

أحوالها . وعلى حكومتها أيضا . ومن الهزل والكذب ترانا مبالغين فى كل شىء

حتى يكون لنا الواحد كالأحاد فى غيرنا فنجعله مائة بصفرين نجىء بأحدهما

من اعتيادنا الكذب . على الحقيقة . ونجيء بالأخر من حقيقة أفلاسنا (١) وهى عقيدة فاسدة من حيث هى كذب . وفاسدة من حيث أنها استهلاك حياة المرء فى غير فائدة . وقد نبه القرآن الكريم اليها فى قولة تعالى " **لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو أصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك أبتغاء مرضاه الله فوق نؤتيه أجرا عظيما** " (٢) وهكذا تتعدد العقيدة من حيث هى لفظ جاءت به اللغة فقط لا باعتبارها حقيقة دينية على ماسلف بيانه . وهكذا فإن اللفظ يتناول - مع ماسبق ذكره - كلا من .

٥- عقيدة القتال .

وهى غير المراد بها الجهاد فى سبيل الله . وأنما المراد المسائل التى تتعلق بفنون القتال ووسائل مدافعة الأرزاق والآجال وكلها غير صحيحة لأنها بمثابة تاجير منفعة فالجندى الأمريكى الذى يقاتل فى أرض العرب ليس مجاهدا وإنما هو متمرس على فنون القتال والعقيدة القتالية عنده تقوم على قدرته الشخصية والذهنية والعسكرية على تخطى امكانيات الأخرين القتالية ولذلك لو قتل فى المعركة لايكون شهيدا بخلاف الجهاد عند المسلمين فإن المسلم لو قتل كان شهيدا متى كان دفاعا عن دينه أو ارضه أو ماله أو عرضه على ماجاء به الحديث الشريف

٦- عقيدة الغلبة والتحايل .

٧- عقيدة الالتفاف حول الأخرين .

٨- عقيدة بقاء الانا وافناء الانا الاخر.

---

(١) الاستاذ / مصطفى صادق الرافعى - وحى القلم ط٢ صـ٢٩٧ مطبعة الاستقامة ١٩٤١/١٣٦ م

(٢) سورة النساء الأية ١١٤ .

٩- استحلال المحرمات حتى أذا بلغ الشيب تاب

الى غير ذلك من الاعتقادات الخاطئة التى ربما جمعها أسم العقيدة الباطلة أو العقيدة اللفظية وهى ليست لنا بغرض فلن نلتفت اليها .

الفصل الثانى

مناهج دراسة الأديان

المبحث الأول : المنهج بصفة عامة

أولا : تعريف المنهج

ثانيا : أقسام المنهج

ثالثا : أنواع المنهج

تمهيد

يجدر بي قبل الحديث عن مناهج دراسة الأديان تقديم القول فيما يتعلق بمقدمات ضرورية للمسألة، ذلك لأن كل علم له منهج، وله موضوع مستقل خاص به يحتوي على مسائله وقضاياه.

من ثم فلابد من الحديث عن.

١- المنهج من حيث تعريفه على وجه العموم. أعني في اللغة والاصطلاح.

٢- ذكر التعريفات الخاصة به والتعرض لها بشئ من التفصيل.

٣- ذكر أقسام المنهج إجمالا مع بيان ما يمكن التخلي عنه منها أو التمسك به مع بيان أسباب التخلي أو التمسك.

٤- التعريف بأنواع القسم المتبقى منه، وبيان الحاجة إليها في دراسة العلوم المختلفة على وجه الإجمال.

٥- موقف المنهج من دراسة الاديان.

٦- موقف الاديان من قبول المنهج أو رفضه.

٧- التعرض للمناهج المقترحة في دراسة الاديان مع ذكر ميادينها التي تستخدم فيها على أني لا أزعم بلوغ غاية، أو قطع الطريق على من سيأتون، وإنما هو جهد أدعو الله أن يبارك فيه ويجعله عنده مقبولا.

فلنبدأ ....

أولا: تعريف المنهج:

ما من فن من الفنون، أو علم من العلوم إلا وله منهج يعتمد عليه في تناول مسائله وعرض قضاياه، وخطة البحث فيه، والغاية التي يرجوها من ورائه.

وهذا هو المسمى بالمنهج ، من ثم كان له من التعريفات الكثير يجمل بنا أن نشير إلى بعضها على النحو التالى .

أ- فى اللغة :

المنهج فى اللغة هو الطريق الواضح والخطة المرسومة (١) على الدرب السالك (٢) وهذا التعريف فى اللغة توشك المعاجم العربية ان تجمع عليه . ومن ثم يمكن اعتباره تعريفا لغويا ليس إلا . مع ملاحظة أن يراعى فى تناوله تمثيله للغة العرب فقط . وليس على ناحية اصطلاحية .

ب- فى الاصطلاح :

١- المنهج Method : طريق محدد يعتمد على خطة واعية....

٢- المنهج .. هو العنصر الثابت فى كل معرفة تعليمية . أما مضمون هذه المعرفة والنتائج التى نصل إليها فهى تغير مستمر (٣) .

وهذان التعريفان محل نظر . أما لماذا ؟فلأن التعريف الأول فيه من العموم مالايجعله خاصا بشئ معين بل هو وتعريف اللغة شئ واحد وإن كان تعريف اللغة اكثر انضباطا . كما إن هذا التعريف لم يشمل المنهج التجريبى الذى تعرف مقدماته وتجهل نتائجه حتى يكشف عنها المعمل فى صدقه أو كذبه . إنه يجعل المنهج أشبه بقاطرة السكة الحديد تسير على طريق محدد تضبطه له أجهزة الانذار وليس كذلك المنهج العلمى .

كما أن التعريف الثانى قد نفى وجود المعرفة الدينية الالهامية وركز على المعرفة التعليمية فقط وليس كذلك المنهج ، لأن المعرفة الانسانية أنواع منها :

---

(١) المعجم الوجيز مادة ن هـ ج صـ ٦٣٦ .

(٢) القاموس المحيط باب الجيم فصل النون صـ ٢٠٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣) الدكتور / فؤاد زكريا - التفكير العلمى صـ ٣٠ .

١- المعرفة الحسية.

٢- المعرفة العقلية.

٣- المعرفة اللدنية.

٤- النص المنزل - الوحي.

والتعريف الثاني يلغي تماما المعرفة اللدنية الالهامية كما ينفي المعرفة الوحيية. ومثل هذا التعريف لا يكفي في أداء المطلوب. بل ولا يحقق أية أغراض تتعلق به. كما أن دعوى الثبات في المنهج غير مقبولة والا فما الحاجة إلى هذا التقدم العلمي الهائل بل ومن أي شئ جاء أن لم يكن من التقدم العلمي والتغير المستمر في المنهج نفسه. سواء في قواعده التي تم تعديلها. أو في وسائله التي تطابق العصر أم في معارفه التي تبدو بين الحين والأخر في شكل أكثر فاعلية وجدة.

٢- المنهج: هو مجموعة من القواعد العلمية المنتظمة من أجل الوصول إلى الحقيقة في مختلف العلوم "(١) وهذا التعريف لا يشمل الانوعا - واحدا من المناهج. ألا وهو المنهج العلمي. أما المنهج التلقائي. أو المنهج المختلط فلم يشر اليه. وبالتالي كان تعريفا ناقصا. غير مفيد في تقدم العلوم الانسانية.

ولو قيل: المنهج هو الطريق الواضح للعلوم. للوصل إلى نتائج معلومة أو مجهولة. ربما كان أقرب إلى القبول من غيره. لأنه سيشمل كافة المناهج. العقلي منها والتأملي. والتلقائي فيها والاستقرائي. وبهذا يتحقق المطلوب. وهو الكشف عن قيمة هذا المنهج في العلوم. لأن هذا المعنى يشمل المنهج في الماديات والمعنويات طالما كانت الغاية هي الوصول إلى الغرض المطلوب.

---

(١) الدكتور / عبدالرحمن بدوي - مناهج البحث العلمي ص ١٣ ط أولى ١٩٦٣م.

والمنهج بهذا المعنى الأخير يمثل اتجاها مستقلا فى البحث والدرس، وتناول المسائل المعروضة لكن على نحو معين من الانحاء التى يمكن اعتبارها مقبوله.

هذا بالنسبة لتعريف المنهج بوجه عام، غير أن هذا المنهج - فى حدذاته - ينقسم أقساما، وتحت كل قسم منه أنواع، وكل نوع يصلح فى علم من العلوم ولايصلح فى علم أخر، ولا أن يحل غيره مكانه. فما هى أقسام المنهج؟

ثانيا : أقسام المنهج

الناس يختلفون فى شتى أمور حياتهم، ويتباينون فى ثقافاتهم وطرق تفكيرهم وأنماط الحياه التى يحيونها، بل أن العادات والتقاليد محط اختلاف كذلك فضلا عن أدوات التعبير اللسانية والحركية. بل أضف إليها أنماط الاختلاف فى اللغات واللهجات والحرف والمهن والوظائف والأعمال كل على سبيل المعارضة والمعاوضة.

بيدأن بعضهم ينطلق فى رحلة الحياة حسب الإلف والعادة والموروث الذى أنفق وقته فيه فالعادة محكمة والتقاليد قائمة وهو فى تلك الحدود يؤدى مهامه فى الحياة بطريقة تلقائية بحتة تلقائية فى الأداء فى نمط معالجة المسائل، آلية عفوية لا يبذل فيها أدنى جهد عقلى.

بينما يقف أخرون على طرفى نقيض من السابقين إنهم يمارسون حياتهم بشكل مختلف عن سابقيهم أنهم يعتبرون أنفسهم من المسؤلية بمكان وأنماط حياتهم يشكلونها طبقا لقدراتهم العقلية، حسب تفكير منتظم وعملية عقلية صرفة بحيث يعتبر مسؤلا عن كل ما يصدر عنه وطبقا لهذا فهو يحرص على دفع مسيرة حياته بنوع من التأنى وكثير من العقلانية، والاكثر من التنظيم والتقنين بل والتعقيد أحيانا. وهم بهذا يخالفون النوع السابق تماما.

فإذا نظرنا إلى هذين النمطين من الأنماط البشرية ، ووضعنا فى الاعتبار السلوك الصادر عن الكائن الحى العاقل لدى كل منهما وجدنا أن هناك فريقا أخر لا هو على التلقائية قائم ولا بالتفكير العقلى المنظم منضبط ، وإنما هو خليط من هؤلاء وأولئك . وبالتالى يمكن اعتبارة قسما مستقلا هم أصحاب التفكير العادى . أو التأمل السريع ، والوضع الرتيب .

وطبقا لهذا الذى سلف فإنه يمكن تقسيم المنهج إجمالا إلى :

١- المنهج العفوى . (١)

وهو عبارة عن نظام عادى يقوم به الانسان فى نوع من التلقائية وكامل الألية ليقطع به رحلة الحياة اليومية ، وهذا المنهج يمثل عادة للأنسان يقوم بها وإن اتخذت أشكالا ، أو تنوعت إلى أنواع .

فمثلا : الفلاح البسيط تعود النوم مبكرا - لأنها عادة الأباء والأجداد - والاستيقاظ مبكرا ، ثم النهوض إلى حقله قبل أن تدق أشعة الشمس القوية أوراق الذرة فيصعب عليه اختراقها ، أو ترسل اشعتها الذهبية على سنابل القمح فيضعف تماسكها ، وهو لهذا يستيقظ مبكرا ، كما ينام مبكرا وكما ورث عادة يحاول أن يرثها من بعده بنوه ، وقس على ذلك ما يتعلق بالناس البسطاء

---

(١) العفوى : نسبة إلى العفوية ، ويعنى به الذى يقصد لذاته ، وإنما يقوم به صاحبه مباشرة من غير تفكير فيه ، ويمارس مهامه من غير أن يسأل لماذا أقوم به ، أو ما الغاية مما أفعل ، ولذلك نسب إلية وعرف به .

الذين لم يبلغوا من العلم قدرا ، ولم ينالوا من الثقافه الواسعة حظا (١) من ثم كان هذا المنهج العفوى غير مقصود لذاته ، وربما يسمى المنهج التلقائى كما يسمى المنهج الآلى ، ولذلك يسمى العادى ، والمنهج الطبيعى : مع ملاحظة أن يكون المقصود طبائع الاشياء وطبائع الصفات ، وليس نسبة إلى علم الطبيعة . لأن علم الطبيعة منهجه تجريبى ، وهو نوع من المنهج الاستقرائى بخلاف المنهج العفوى على ما سبق ذكره .

٢- المنهج المختلط :

وهو منهج فيه تلقائية وعفوية مضافا إليها قليل من التأمل ، كما يمكن تعريفه بأنه : منهج يقوم على التفكير السريع المتعجل ، وهو يمثل نمطا من السلوك، ولونا من التفكير لكنه لا يجمع بين محاسن بقدر ما يجمع بين اشتات متفرقة . إنه سلوك متعجل ، وربما كان تصوير القرآن الكريم لهذا اللون من المناهج غاية فى الوضوح وربما نستأنس له بقوله تعالى : " وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا أباءنا على أمة وإنا على أثارهم مقتدون " (٢) .

فهؤلاء المترفون يقلدون سابقيهم ويمارسون هذا التقليد بكثير من التلقائية والعفوية والأليه معا ، لكنهم مع هذا يفكرون متعجلين وإلا ما عرفوا الاقتداء .

---

(١) توشك تلك العادة الجميلة فى الانقراض بعد أن دخل التلفاز إلى كل مكان فى البيت الريفى القديم ، بل وأمكن حمله إلى الحقول عن طريق استخدام البطارية ، وهذا ما سوف تظهر أثاره السلبية على حياة الفلاحين وسوف تكون أثارا مدمرة أن لم يمكن علاجها والتغلب عليها .

(٢) سورة الزخرف الأية ٢٣ .

وما نطقوا بمراعاة القواعد الثابتة التى نشأعليها اللاحقون وتربى فى رحابها القائمون باعتبارأنها قواعد سابقة أقرها الأقدمون . قال صاحب الكشاف : " مترفوها الذين أترفتهم النعمة ، أى أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين وتكاليفه " (١) وقد ضرب الله لهذا المنهج الكثير من الأمثله وكلها تؤكد حاجة هؤلاء إلى مراجعة مواقفهم والتأكد من أن هذه المسافات الفكرية المتقاربة على طريق التقليد ، والغاء العقل الكامل واستخدام بعض الطاقات وتعطيل الغالب الأعم ، ليست مقبولة عند الله رب العالمين .

وربما نستأنس له أيضا بقوله تعالى : " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا " (٢).

قال صاحب تنوير الأذهان : الأخسرين أعمالاهم أشد الخلق وأعظمهم خسرانا فيما عملوا وهذا بيان حال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة فى أنفسها من صلة الرحم ، واطعام الفقراء ، وعتق الرقاب ونحوها وفى حسبانهم أيضا حيث كانوا معجبين بها ، والقين نيل ثوابها ومشاهدة آثارها الذين ضل سعيهم فى إقامة الأعمال الحسنة فى أنفسها ، وهم يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق ، وذلك لا عجابهم بأعمالهم التى سعوا فى إقامتها وكابدوا فى تحصيلها .... فلا نقيم لهم وزنا ، ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لأن مدار القبول

---

(١) الامام الزمخشرى - الكشاف المجلد الرابع صـ ٢٤٥ ط دار الريان .

(٢) سورة الكهف الأيات ١٠٣ - ١٠٦

الأعمال الصالحة فى ذاتها والغاية منها . وهذا لم يتوافر لهم (١)

٣- المنهج التأملي الدقيق :

وهو طريق فكرى يقوم على التأمل ، وإمعان النظر ، وتدقيق الفكر ، تفرضه ظروف البحث العلمى وتعقد بنتائجه ، وهو أرقى المناهج الفكرية وأعلاها منزلة ، ولذا كان موضوع المنهج التأملى هو المسائل المعقدة ، والأفكار المتشابكة والموضوعات التى تحتاج إلى حلول حاسمة ، كما كانت الغاية من هذا المنهج هى تقديم الحلول المقترحة ، والإجابات المفترضة ثم تقيم النتائج المترتبة على هذه الحلول فى ذات الواقعة وفى نفس الحال واللحظة . وهو ميسور لطائفة من الناس .

بيدأن هذا المنهج ربما يقف عند حد المجهود الذهنى من غير معاونة جهة أخرى ، وربما يستخدم المعمل أياكان نوعه ، وقديستخدم الوثائق والحجج الموثقة والظواهر التى تنتمى إليها بعض الشعائر ، وربما استخدم هذه وتلك ، وبخاصة أن المنهج التأملي يلبس لكل علم ثوبه ، ويتنوع مع كل موضوع ، ويجرى مع مسائل كل علم ، ومن ثم كان إختلاف المناهج وتنوعها .

مما حدا بالبعض إلى الظن أن المنهج واحد ويصلح لكل العلوم ، وليس متنوعا إلى أنواع ، يقول " الحقيقة أن الفصل بين مختلف المناهج بالنسبة لأى علم من العلوم يكاد يكون مستحيلا (٢) وإن كان هذا يمثل وجهة نظره ، فليست محل اجماع من الباحثين ، بل الواقع يعانده ، لأن طبيعة العلوم تختلف عن البعض الأخر من حيث .

---

(١) الشيخ اسماعيل حقى البروسوى - تنوير الأذهان من تفسير روح البيان جـ٢ صـ٤٠٢ دار

(٢) الدكتور / عبدالرحمن بدوى - مناهج البحث العلمى صـ١٦ .

١- الموضوع

٢- المسائل .

٣- الغاية والهدف .

فمثلا العلوم العقلية كالميتافيزيقا ، واللاهوت ، ومسائل الاستدلال على وجود الله ، والبحث فى الروح والنفس الانسانية ، والفكر الانسانى ، كلها عقلية يصح فيها منهج خاص بها هو المنهج التاملى . الذى يمثله القياس لدى الاصوليين والمتكلمين والمناطقة .

أما البحث فى مسائل الطبيعة الفيزيقا والعناصر المادية على وجه العموم فإنها تستخدم منهج الاستقراء العلمى سواء كان استقراء تاما ، أو استقراء ناقصا ، ويصلح لها المنهج التجريبى ولا يصلح لها القياس المنطقى وتلك من المسائل المتفق عليها بين الدارسين الا من شذ ، والحكم العام إن الشاذ لا يقاس عليه أضف إلى ذلك استخدام المنهج التجريبى و التجارب العقلية والتجارب العقلية Gedanken - experimente عبارة عن : تجارب مثالية افتراضية معروفة النتائج لا يمكن اجراؤها فى العمل ، والهدف منه هو اختبار النظريات الفيزيائية المختلفة(١) ومثل هذا المنهج التجريبى لا يصلح للعلوم العقلية بحال من الأحوال ، لما سلف بيانه .

بل نحن فى دراستنا النظرية ربما نستخدم المنهج التاملى الدقيق - غير التجريبى - القياس فى تناول المسائل الكلامية والعقلية ثم نستخدمه -

---

(١) د/ فيرز هيزنبرج - الجزء والكل ترجمة محمد أسعد ص ٧٠ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ .

القياس - فى التعرف على مسائل الكتاب وفكر مؤلفه عن طريق " شاهد الحال " فنقول مثلا : هذا الكتاب - رغم أن غلافه يحمل أسم المؤلف - ليس لمؤلفه . لأن أفكاره شاهدة عليه . من حيث أن مباحثه مخالفه لفكر الرجل سواء فى طريقة معالجة قضاياه . أو طريقة تأليف الكتاب أو ما شابه ذلك.

وكثيرا ما انتقدت كتب بناء على أنها منسوبة لمؤلفين وهى فى الحقيقة لغيرهم كما نسب كتاب " الشجرة الالهية " لأبى الحسن الاشعرى . ثم بان بالدراسة أنه ليس له . وربما عرف باسم كتاب شجرة اليقين " (١) بينما لم يرد ذكر هذا المصنف عند بروكلمان أو فؤاد سزجين كما لم يرد ذكره عند القدامى (٢) كما أن الأفكار المعروضة فيه تخالف الفكر السائد لدى الأشعرى.

ومثل هذا الذى جاء به النسب إلى أبى الحسن الاشعرى وقع لأغلب علماء المسلمين . والمنهج العلمى فى دراسة الأفكار ومراجعة الوثائق ينتهى بأن هذه الكتب كلها أو أغلبها ليست صحيحة النسبة الى أصحابها وقد يكون الكتاب مما فهمه تلميذ عن شيخه فيؤلفه ثم ينحى ذاته ويدون أسم شيخه مباشرة على الكتاب وربما ذاع على أنه له . حتى إذا جاءت بعض عبارات كاشفة أعانت على أعادة الامور إلى نصابها .

من ذلك مثلا كتاب مفاتيح الغيب المنسوب للأمام الفخر الرازى . تناوله الدارسون فى علم التفسير على أنه له . وقام بدارسته جمع غفير من قسم العقيدة

---

(١) بتذكرة باسم " كتاب الشجرة الالهية - مكتوبة فوقية حسين محمود مقدمة الابانه ص٢٩

(٢) المصدر السابق ص ٨٣ .

نهاية الفصل الثاني

من صفحة ٨١ الى ٩٦

ساقط من الأصل



الفصل الثالث

التدين

المبحث لأول : نزعة التدين

المبحث الثاني : تعريفات الدين

المبحث الثالث : تصنيف الأديان

المبحث الأول

نزعة التدين

تمهيد

التدين أمر فطرى ، ونزعة داخلية قلما يخلو فرد بشرى منها ، ولو فتشت داخله لأنباك أنها مذكورة بداخله وجزء من تكوينه ولاينبئك مثل خبير .

على أن نزعة التدين هذه ربما قويت عند بعض وضعفت لدى آخرين أو نمت بسرعة عند فرد وببطئ عند غيره ، لكنها فى كل الحالات لها وجود فعلى لايمكن اغفاله أو تخطيه .

بين أن هذه النزعة يشترك فيها الأمى والعالم ، ابن البيداء وساكن القصور الحفاه العراه فى غابات أفريقيا ، والعالم الفذ فى معالم أمريكا ، أنها نزعة ولها على النفوس سلطان وأى سلطان .

ثم إن التدين ان وافقه صحيح اعتقاد وسلامة دين فهو التدين المطلوب ، شرعا المقبول عند الله ، وهو تدين دافئ يغذى القلوب ويريح النفوس ويظل أصحابها فى رياض ورياحين .

أما ان كان التدين صورة ظاهرة وشنان أعمال التقليد والاثارة فهو تدين يخطئ به صاحبه ويرتد عليه ولايكون له عند الله قبول ولا بين الناس رجاء وتدين يخلو من الاعتقاد الصحيح فى الله ورسوله واليوم الآخر لايكون مقبولاً وان تزى زى الصالحين .

ماسبق اتضح أن مسألة الاعتقاد - بجانب أنها جمع أطراف الرأى والتأكيد عليه - لاتخرج عن الأطار النفسى الاعند التطبيق العملى ، وطالما هى داخل المرء معتصمة به فلايمكن الحكم عليها ، ولذا فامرها يظل سرا مطويا إلى حين ابرازها للتطبيق فقد يطابق الفكر الواقع وقد يختلفان والأمر على هذا النحو وارد ، وقد يحتاج ضرب مثال لجانب أختلاف الفكر مع التطبيق فهاكه .

أنواع التدين

التدين أنواع كثيرة منها :

١- التدين الشكلي .

وهو يقوم على ممارسة سلوك معين مقلدا الغير وصاحبه لم يعط نفسه الحق ولو مرة واحدة ليفكر في هذا التدين الذي يمارسه سلوكا شكليا وما أذا كان هذا التدين مقبولا من عدمه مع انه انعقد عنده . وصار أمرا لايمكنه التخلي عنه كعبادة الاصنام والتقرب اليها والذبح عنها . والتطاير بأسمها وضرب الأقداح . والإستقسام بالازلام إلى غير ذلك من الأشياء التي تدخل تحت هذا اللون من التدين الشكلي وتقليد حاخامات اليهود في لبس غطاء الرأس الأسود الذي يغطي جزءا منها فقط . وممارسة هذا السلوك داخل معابدهم والصوامع .. وتناول أتباع القسس صكوك الغفران وتعاطيها وتداولها تحت أي شكل من الأشكال أو أسم من الاسماء . كل ذلك تدين تقليدي شكلي يمثل نوعا من الانحراف الفكري لكنه في ذات الوقت ضبط صاحبه أمره عنده وصار يمارسه باستمرار.

٢- التدين المنفعي .

وهو يقوم على ممارسة شعائر ما يعتقده دينا حتى تحقق له منفعة فإذا انتهى منها انتهى من ذلك التدين وتخلى عنه فهو قد اعتقد أنها مسألة وقتية يمارس فيها هذا اللون من التدين الكاذب فربما انقطع عن شهوة الجنس ولذة الطعام وأحنى ظهره وخفض بصره فإذا تحققت له المنفعة التي كان يرجوها انقطع عن هذه وقطع التي كان قد عقد أمره عليها وربما يستدرجه الله بأدناء المنافع منه.

وربما نستأنس لهذ النوع بقوله تعالى " وأتل عليهم الذى أتيناه أياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض وأتبع هواه فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بأياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بأياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون " (١)

وفى سبيل هذه المنفعة ربما يقسم طالبها بالله غيرمريد الوفاء حتى اذا استدرجة الله كان كاشفا لما فى ضميره وما أخفاه من عقيدة وقد نستأنس بقوله تعالى " ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب (٢).

٣- التدين الاطلاعى

وصاحبه يعتقد فى داخلة أن الاطلاع وحده يكفى وأن الأعمال مجرد مشروع يمكن تجاوزه بيسر وأن الأعمال العبادية شرعت للبلهاء وناقصى الاهلية وأنه باطلاعه يغنى عن كافة هذه العبادات حتى لكان الشرع - فى نظره- قد جعل الفهم والنباهة أقوى من أداء العبادات وأكثر منها قبولا .

متى احسنت القراءة ، وزاد حجم المعرفة معتقدا أن الدين ماهو الا المعرفة وأن الممارسة عبارة عن لون من التطبيق الشكلى الذى لايصلح إلا بالمعرفة ولايستغنى عنها بينما المعرفة يمكنها الاستغناء عن التطبيق وربما زعم معاونة

---

(١) سورة الاعراف الايات ١٧٥ ، ١٧٧ .

(٢) سورة التوبة الأيات ٧٥ ، ٧٨ .

الهوامش الفكرية له فيدعي أن الدين عقيدة هي الاصل وأن العمل هو الفرع والاصل ربما أستغني عن فرعه وأغنى عنه بينما العمل لايمكنه تعويض الاعتقاد وتلك مغالطة مرفوضة لأنها تهدم الشرع كله ، بل اذا اعتقد ذلك كان كافرا .

ويظل يمارس هذا المعتقد الخاطيء تاركا شرع الله جاحدا له ، مدعيا أن علمه أغنى عن عمله متجاهلا أن الشرع جزء الدين ولايصلح الكل إلا بجزئيه متى كانت الفرصة قائمة فى العمر الممتد وهذا فى المسيحية كثير فكم قابلت من المسيحين مثقفين بأناجيلهم ولم يدخل الكنيسة فى حياته مرة ولم يطبق تعاليم الانجيل فى حياته مرة فتراه يقتل ويسرق ويكذب ويزنى ويعيش حياته طولا وعرضا ، وكأن تعليم الأباء ونصوص الأناجيل ورسائل بولس وغيرها ما وضعت عنده إلا لقراءتها وكفى وتلك غاية التدين عنده .

وقس على ذلك جملة المستشرقين الذين يولون دين الاسلام عناية فى دراسة نصوصه محاولين التبحر فى فهمها ـ رغم أنه غرض خبيث قصد به البحث عن مازعموه مناقص ـ لكنهم يقفون عن حدا القراءة والثقافة ولو أعطوا أنفسهم الحق فى الاقرار بما وصلوا أليه لهتفوا قائلين أمنا بالله رب العالمين ، مع سيدنا محمد ﷺ خاتم الانبياء وسيد المرسلين وأنى لهم أن يقولوها وقد طبع الله على قلوبهم فهم لايعقلون .

٤- التدين المخالف .

وهو ينطوى على تجهيل الفكرة القائمة ، والتركيز على ما بها من عورات ثم الانسلاخ عنها وممارسيها زاعما أنهم جميعا يتعاملون أفكارا ضالة ويمارسون تدينا خاطئا فينصب نفسه دينا برأسه يصنعه له خياله ويغذيه فكره ، ولايحاول كشفه للناس من حيث هو فكرة أعتقدها وجمع أطرافها داخل نفسه

وانما تبدوا فى سلوكه بشكل مخالف لما عليه القوم فإذا أطالوا فى أثوابهم قصر وإذا قصروا أطال . وأذا تركوا لحاهم حلق . وأذا حلقوا أطال . وأذا تنادوا بالاجتماع صاح بالتفرق واذا سمعوا صوت عدو بلبل وتناجوا بالتخفى والتفرق نبح بما يملك من عواء . يحرم ما أحل الله . ويحل ماحرم الله . متجاهلا شرعه تعالى . مهملا جهود العلماء متذرعا بأمور لاوجود لها الا فى أعماقه . وهو فى الحقيقة مريض يحاول أزعاج الناس بمرضه حتى يلتفتوا إليه أو طالب زعامة يدعو اليها . أو صاحب مترية يريد الأبتعاد عنها .فمثلا شاؤل فى المسيحية الذى عرف فيما بعد بأسم بولس . ماهو إلا يهودى طمح فى الزعامة . ومخالفة ماعليه جند الرومان من ثم زعم أنه راى السيد المسيح يناديه شاؤل شاؤل لماذا تضطهدنى ؟ فقال له من أنت أيها السيد ؟ قال أنا يسوع المسيح .

قم وكرز بين الناس باسم الاب والابن والروح القدس واستغل بولس تفرق القوم فى النصرانيةن وسلطة الدولة الرومانية فخالف حقيقة النصرانية وادعى لنفسه دنيا صنعه خياله قامت المسيحية من بعده عليه وعرفت به.

٥- تدين دفع المضرة .

وهو لون من التدين يقوم على أن التدين مرحلة وقتية عمادها دفع المضرة . كالنجاة من الغرق والابراء من الحرق . وانكماش العدو مع تقهقرة . ولأن الضرر انواع . فكذلك المتدين لها يلبس لكل نوع منها ثوبه المتناسب معه . واليك نماذج منها .

أ- النجاة من الغرق :

الغرق مضرة لأنه الموت لا محاله . وراكب البحر متى رأى الموج وقد غضب والريح وقد عصف . والرعد وقد قصف . والفلك وقد اضطرب . تراه يعلن حالة من

التدين يرفع أكف الضراعة لله رب العالمين أن ينجيه من هذا الموت المحيط به ، المحدق به من حوله ، ويقسم إنه عن المعاصى قد أقلع ، وإلى الطاعات قد اندفع ، وإلى الصفحة الجديدة قد إنقلب .

حتى أذا استدرجه الله ، ورفع عنه خطر الغرق ، واستقرت سفينته على شاطئ النجاة فلا تراه إلا عند مواخير الفساد ، وأحضان الخنا ، ومواكب النفاق ، متناسيا ماتعاهد عليه مع الخالق العظيم جل علاه ، بل ربما أزداد طغيانا ، إمعانا فى كسر لحظات الخوف التى عاشها حين كان الفلك على لجات الماء يتراقص ، وبين آهات الباكين ، وأنات الخائفين ، ودعوات اللاهثين يندفع ، وماهو بمنقص من ملك الله شيئا .

وربما كان تصوير القرآن الكريم لهذا الموقف فيه الروعة والاعجاز : قال تعالى " وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا أن رسلنا يكتبون ما تمكرون . هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذاهم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون " (١) وقس على ذلك سائر الأناسى فى هذا الأمر .

---

(١) سورة يونس الأيات ٢١، ٢٣ .

ب- النجاة من بطش الأعداء.

وربما كان ابليس هو النموذج الجيد لهذا النوع من التدين القائم على دفع المضرة المتمثلة فى الخوف من بطش الأعداء إذ تروى الآثار أن الله أمر الملائكة بقتال الجن لأنهم طغوا و بغوا واستحلوا شريعة الله . فأحلوا حرامها . وحرموا حلالها . وأفسدوا فى الارض بكل ألوان الفساد متجاهلين انذار الله لهم .

وأراد الله الذهاب بهم والاتيان بأخرين . فكان الأخرون هم أدم وبنوه من بعده إلى يوم القيامة .

وقام الملائكة بالتكليف فأدرك إبليس أن المهمة محددة بقتل كل العاصين . من ثم راح يقدم كافة ألوان الطاعة حتى إذا أدركته الملائكة وجدوا فيه مظاهر الطاعة . والتمسوا فى تصرفه سلوكا مخالفا لما كان عليه من كان مثله . وهنا وقفوا أمامه - لحكمة يعلمها الله - قائلين فى أنفسهم : أهذا ممن شملهم التكليف أم أنه كان خارجا عنه .

ولما أراد الله خلق آدم عليه السلام. كلفهم جميعا ومعهم ابليس بالسجود لأدم عليه السلام . فكانوا جميعا متسابقين لتنفيذ ما أمرهم الله به من اطاعة أمر الله رب العالمين والسجود لأدم حسب ما أمر الله تعالى به . إلا ابليس الذى سولت له نفسه أن المضرة قد نجى منها. وأن السلام قد فرض سطوته على الجميع فإذا به يندفع إلى الضلال كما كان عهده به بل ربما زاد فى الضلال والطغيان .

فلم يطع أمر الله . ولم يسجد لأدم عليه السلام . وإنما أعلن فى غير حياء ما حكاه القرآن الكريم عنه " قال تعالى : "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين " (١) وقال تعالى : "وإذ قال ربك

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٤ .

للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين. قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين ، قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فأخرج منها فإنك رجيم وأن عليك اللعنه إلى يوم الدين " (١) إلى غير ذلك من الأيات القرآنية التى شرحت هذا الموقف الذى عاش ابليس أدواره ، ممثلا لنوع من التدين الخافت الهزيل الذى لا وقع له إلا حين تندفع المضرة . ثم يختفى بعدها ولايظهر له أى أثر . أنه تدين مرفوض ، وعبادة غير مقبولة . وفى دنيا الناس الاف الأبالسة بل الملاين ممن يتدينون خوف الأعداء فإذا وقع لهم الأمان أو تحقق الأمن انصرفوا إلى سابق عهدهم فى الانحراف العلنى والانحلال البين من غير غطاء وفى غير حياء .

جـ- كشف الضر:

الضر أنواع منه المرض ، والحاجة ، والعوز ، والفقر ، وضغط السلطان ، وازالة العمران والزلازل والبراكين والأمطار والفيضانات ، والفيضان للأنهار والأبار والبحار ، وكذلك أفات النبات ، وأمراض الحيوان ، إلى غير ذلك من أنواع الضر التى يصعب حصرها ، وإن كان يجمعها ضابط بانها ، ما يصيب الانسان فيحزن به فؤاده ، وتبكى له عيناه .

وربما نستأنس لهذا اللون بقوله تعالى " وإذا مس الأنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار. أمن هو قانت

---

(١) سورة الحجر الايات ٢٨ ، ٣٥ .

أناء الليل ساجدا وقائما يحذر الأخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب " (١) ولا أظن واحدا من المتدينين بجهل غرضة من تدينه اللهم إلا أن تكون بعقله لوثة تمنعه من التمييز ومثله لاقيمة لعبادته ، بل هو غير مكلف بها شرعا مادام عقله ملتاثا يصعب عليه الادراك . وما ذكر يكفى عن مالم يذكر ، لأنها أمثلة والضابط لها واحد وقد سبق الالتفات إليه .

٦- التدين المؤقت :

وهو نوع من التدين غريب على المتدين نفسه . إنه يمارسه ولديه قناعة - بأنه يفعل غير صواب ، ويمارس غير صحيح ، لأنه يقوم على : اصطناع التدين من لين الكلام ، وبذل الطعام ، وربما إلقاء السلام ، وإلهاء العوام ، حتى إذا انقدح بين الناس تدينه ، وذاع في المحيطين به تقواه حاول إمساك هذا التدين بين أصابعه .

فمثلا السجين الذى قضى جزء عقوبة وأفرج عنه لحسن سلوكه ، إذا خرج للناس ادعى التدين ، فرغم أنه سارق وجريمته السرقة ، ولا يعرف الأمانة بل لا تعرف الأمانة طريقها إليه - يحاول ادعاء الامانة ، فيزعم أنه وجد لفافة ويدخل بها إلى البسطاء طالبا منهم فض أغلاقها ، حتى إذا وجدوها نقودا اشاعوا بين الناس أن فلانا صار أمينا ، وأنه وقعت بين يديه أموال الدنيا فلم يلتفت إليها . بل ربما أراد التغالى وحبك الدور على البسطاء فلا يقبل حظه من العشر مثلا . مدعيا القناعة متذرعا بالزهد ، بينما هو داخله سارق من رأسه حتى قدميه . كل ما في الأمر أن اللفافه هو صاحبها ، ويعرف ما فيها ، وقد اتفق مع زميله عليها

---

(١) سورة الزمر الايتان ٨ ، ٩ .

حتى إذا صاح فى الناس صائح بوجود أمانه وطالب صاحبها التعرف عليها ، ترى الزميل قد دخل إليهم يدلى بأوصافها ويعدد أجزاءها ، ويتحدث عن كل صغيرة وكبيرة فيها كأنه إلى لجان الأمتحان داخل،وأمام أجهزة الكمبيوتر سيمتحن ، مع أن الواقع خير شاهد على أن قصة اللفافة مجرد مسرحية هزلية أو عبثية قصد بها إلهاء العامة والسخرية من إمكانياتهم محاولا إدعاء الامانه تحت ستار التدين . وكأنى بأبى العتاهية وقد عناه بقوله :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى   وريح الخطايا من ثيابك تسطع(١)

وصاحب التدين المؤقت لا يتغير داخله لإن المظهر فقط هو الذى يتم التعامل به " وهناك نكتة لطيفة تقوم على أن " موسى بن عمران رباه فرعون فكان مؤمنا ، وموسى السامرى رباه جبريل وكان كافرا ، فلم ينفع تربية الأمين لموسى السامرى ، ولم تضر تربية اللعين لموسى الكليم عليه السلام . وقد أنشد بعضهم فى هذا المعنى :

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل   فقد خاب من ربى وخاب المؤمل

فموسى الذى رباه جبريل كافر   وموسى الذى رباه فرعون مرسل (٢)

وقد رأيت بعض من أفرج عنهم حديثا لانقضاء نصف المدة مع حسن السلوك داخل دار الاصلاح والتأديب . وبمناسبة عيد الأضحى ، فإذا بهم يطيلون لحاهم ، ويرتدون الملابس البيضاء وبعضهم انتقل ولبس والتحى وتعمم ، واستاك وحمل معه المسبحة والسواك ، وظل على ذلك فترة المراقبة (٣) حتى إذا انقضت

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى - صفوة التفاسير جـ١ صـ٥٦ ط أولى .
(٢) المصدر نفسه صـ٤٧١ .
(٣) بعض الأنشطة إذا خرج أصحابها من الاصلاحيات أو السجون قامت بعض أجهزة الأمن بمراقبتهم طبقا لما هو منوط بهم .

وجدت أحادهم وقد لبس الجينز والخواتم والسلاسل وأضاف إلى معصمه السلاسل تلك التى يعرف بها الخارجون على الدين والعرف .

وانكر أننى سألت أحدهم أين لحيتك ؟ فكان جوابه : تركتها عند الحلاق، أين تدينك وورعك : فقال تركتها عند باب المسجد . بل أن زوجة أحدهم . كانت تقضى فترة المراقبة لنفس السبب فكانت ترتدى الملابس البيضاء واستبدلت المسكن وأطلقت على نفسها لقب الحاجة .... وبعد انتهاء فترة المراقبة عادت الى ما كانت عليه بل وأضل سبيلا . وكأنني بهؤلاء والقائل .

نئب تراه مصليا فإذا مررت به ركع   يدعو وكل دعائه ما للفريسة لا تقع

فإذا الفريسة انشبت أظفاره   ذهب التبتل عنه وراح[1] الورع

وذكر الأمثله للتدين المؤقت ربما يخرج عن إطار البحث وظروفه فنكتفى بما ذكر على أنا نقول انه يخالف ما سبق ذكره فى قليله أو كثيرة . ويخالفه فى التسمية والتكنية والغرض وسأضرب مثالا يبين أن كل نوع منها يتما يزعن غيره أما المثال فهو :

<u>تدين خشية الحال .</u>

وهذا النوع من التدين المؤقت يقوم على إبراز مظاهر العبادة على الجبهة فى الصلاة . وعلى القوام فى الصيام . وعلى حركة اليدين فى الزكاة والصدقة . فربما أطال لحيته . وضيق ملابسه وقصر فى أطوالها . مدعيا التقوى . زاعما الصلاح . وأنكر أننى التقيت بأحاد هؤلاء فى أماكن متفرقة وسألت الكثيرين منهم عن هذا المظهر الذى ينم عن تدين مؤقت . لأن الأمر معهم لا يدوم . والحال لا يستمر .

شاب التقيت به فى محل عطارة وصاحب المحل مشهور باطالة اللحية وليس الطاقية البيضاء فإذا بالعامل عنده يتحول إلى نفس سمة الرجل - رغم أن الأول أمى . والثانى دبلوم تجارة ولسابق معرفتى به سألته .

- لماذا أطلت اللحية . ولبست الثوب والسروال وخاتم الفضة ؟

- لاننى أحب الحاج - صاحب المحل - فأردت تقليده .

- ماذا تفعل لو غير الحاج أمره إلى بنطلون وحلق اللحية ؟

- سأفعل مثله .

- لماذا ؟

- لأن هذا تمشية حال - وكل من يعملون بالمحل يمارسون هذا الفعل . والجميع كحالى تماما .

- الا نحن للمخالفة والمعاكسة و...... خلافه مما كنت تتصف به ؟

- نعم أحن لكن ماذا أفعل والحاج سيغضب منى وينقطع عيشى . ونحن لوحدنا نفعل ما نشاء . المهم أن الحاج لا يعلم بهذا . والا ....

وشاءت ارادة الله أن يطلق صاحب المحل على هذا الشاب لقب الحاج : وظل يرددها حتى صار المتعاملون معهم يقولون الحاج الصغير . وكانت لصاحب المحل فتاة أراد تزويج العامل لها . لكن كلاهما لم يوفق للأخر . لأن الغرض عند كل منهما تمشية الحال . وليس ارضاء الرحيم الرحمن .

واذكر أنهما افترقا بعد فترة . فلم يجد العامل ذو اللحية مفرا من حلقها والعودة إلى ملابس الافرنج - البنطلون والقميص - والتحق بمحل جواهرجى مسيحى فلم يجد غضاضة فى التختم بالذهب والسلاسل الجلدوكل ما فيه خروج

على سابق أمره حين كان يعمل مع صاحب المحل الأول، وسبحان مغير الأحوال وكذلك بعض تجار الكتب والروائح العطرية، والعطارين، ومن صار التدين المؤقت عندهم صورة من تمشية الحال. وليس عبادة للرحمن. بل أن أغلب الناس امتهنوا هذا اللون من التدين المؤقت وبخاصة متى ضغطت عليهم ظروف الحياة، وأنشب الفقر في بيوتهم أظافره. فترى السافرة المتبرجة ذات نقاب، وكانت قبل تدخن وتشعل أعواد الثقاب، حتى إذا فتحت الحياة لها ذراعا تقدمت هي الأخرى باعا، ثم تبدأ في التحرر مما كان بالأمس قيدا، وترى الحياة فيه كانت قبرا، بينما هو ثوب العفة وغطاء الألفة، واكسير المحبة.

وتدين تمشية الحال والتدين المؤقت باب واسع أمثلته عديدة فلننتقل إلى غيره.

٧- تدين العابد :

إذا كان العابد هو من " انقاد لله وخضع وذل فهو عابد " (١) فإن هذا العابد قد ينال قدرا من العلم، وقد لاينال، فإن نال قدرا من العلم فهو عالم عابد، وإن لم ينل هذا القدر من العلم فهو عابد فقط متى كانت العبادة. من صلاة وزكاة وحج، وخلافه - هي العمل الذي يقوم به وحده ولعل هذا ما كشف عنه النقل المنزل في قوله تعالى : " **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب** "(٢).

يقول الامام الفخر " إن هذه الاية دالة على أسرار عجيبة، فأولها : أنه بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم، أما العمل فكونه قانتا ساجدا قائما وأما العلم فقوله تعالى : " **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** " وهذا يدل على أن كمال الانسان محصور في هذين المقصودين فالعمل هو البداية، والعلم والمكاشفة هو النهاية ....

(١) المعجم الوجيز مادة ع ب د ص٤٠٣ (٢) سورة الزمر الآية ٩

قال الامام الفخر فى قوله تعالى : " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " . هو تنبيه عظيم على فضيلة العلم " (١) وأن العلم فضيلة والجهل رذيلة فما ظنك بعبادة جاهل ؟

ومن السنة المطهرة قوله ﷺ " فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم . وقوله ﷺ " فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم (٢) ومن المأثور تفكر ساعة فى طاعة خير من عباة عام .

بل إنك ترى بعض علماء الحديث يعقدون فى كتبهم مقارنة بين الفقه والعلم . بل إن بعضهم جعل " باب ماجاء فى فضل الفقه على العبادة " (٣) ونقل الامام البغوى " فضل العلم على العبادة من حيث أن نفع العلم يتعدى إلى كافة الخلق . وفيه إحياء الدين . وهو تلو النبوة " (٤) .

وعن عبدالله بن عمرو " أن رسول الله ﷺ بمر بمجلسين فى مسجده . أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه قال ﷺ " كلا المجلسين على خير . وأحدهما أفضل من صاحبه . أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه . وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهو أفضل . وإنما بعثت معلما . ثم جلس اليهم (٥) .

---

(١) الامام الفخر الرازى مفاتيح الغيب المجلد ١٣ هـ ٢٦ صـ ٣٩٦ طراز الغد العربى .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب العلم حـ ٢ صـ ١١٤ ومسند الدارمى جـ ١ صـ ٨٨ . ٩٧ . ٩٨

(٣) فعل ذلك الامام الترمذى حيث جعل فى كتاب العلم بابا تحت ما جاء فى فضل الفقه على العبادة حـ٢ صـ١١٤ .

(٤) الامام البغوى شرح السنة صـ ٢٧ ط دار الكتب ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

(٥) شرح السنة صـ ٢٦٦ .

وهكذا فإن تدين العابد الجاهل لا يغنى فتيلا إذا قورن بالتدين الذى يحيط به العلم ولذلك وجدنا السنة المطهرة والقرآن الكريم والآثار الصحيحة تحدث عن العلم وتدفع اليه وتبين فضله وفضائل المتعلمين متى كانوا عبادا لله مخلصين ، وعلى طاعته قائمين متوجهين لله رب العالمين . وسأضرب لك مثالا بتدين العابد الجاهل ربما اتضح به الأمر .

العرب قديما كانوا الى الأصنام يتجهون ، وعلى عبادتها يتواصلون " والى الزحف نحوها يأمرون ، فعبدوا الاصنام والأحجار والزلازل وعبد غيرهم الشمس والقمر والكواكب ، بينما عبد غيرهم النار والأمطار ، وهكذا كان العوام والجهال يعبدون من غير أن يفكروا ولو مرة واحدة تقودهم الى الخير الذى يأملون وانما كانت العبادة العمياء قائمين على قولهم الذى حكاه القرآن الكريم عنهم " إنا وجدنا أباءنا كذلك يفعلون "وجدنا أباءنا لها عابدين وهكذا كانوا عبادا مقلدين ليس الا فرأينا القرآن الكريم يعيب عليهم ويأمرهم بالنظر والتفكير ، ونهاهم عن التقليد الأعمى والعبادة الباطلة الضالة .

وكم رأيت من يقف على أبواب المساجد يحرم على الناس الدخول إليها بحجة أنها مساجد ضرار لمجرد أنها تشرف عليها وزارة الأوقاف (١) كما رأيت من يجلس فى المساجد يمنع الناس صلاة السنة القبلية لفرض ما بحجة أنها لم ترد بينما هو لايعرف معنى يرد أو ترد ، بل ربما لا يعرف عن السنة النبوية شيئا أصلا ، اللهم الا خيالات وقع فيها ، وضلالات نام فى رحابها ، بل رأيت وسمعت من يحرم ظهور النساء على المحارم ، وفى نفس الوقت يسمح هو لنفسه بالخروج

---

(١) كانت هذه بعض أفكار جماعة التكفير والهجرة - أنظر التكفير والهجرة وجها لوجه

على المحارم وغير المحارم بحجة أنه رجل ، وأن الأخرى أنثى ، وأن الرجل بامراتين وأن كما له يسمح له بهذا الدور الغريب الذى ينادى به ويرجوه اقترابا .

ناهيك عمن يحل ذبائح الغلمان إذا كانوا ملتزمين ، ويحرم ذبائح النساء متى كانت الأعذار الشرعيه تغطيهن ، ويحمى نفسه من معايشتها فى وقت الطهر ويغرق فى أحضانها فى ذات الأعذار طالما أن العوازل الطبية قائمة ، وأنها تحول بين فضلات الطمث وبين مباشرة المرأة ، وهكذا يزعم أن ممارسته هذه عبادة محتجا بقوله ﷺ : " وفى بضع أحدكم صدقة " وليته التفت إلى الحديث الشريف فراعى سببه واتقى الله فى أمره حتى سأل أهل العلم وليته فعل ، أو سأل ولا تغمض العين عن أولئك الذين ينقطعون عن الزواج تحت دعوات الرهبنة ،وأن العلم يضيع بين أفخاذ النساء ، أو أن الزواج يشغل عن العبادة ، ويقلل من فرص الطاعة ، ولست أدرى أى سند وقفوا عليه ، أو أى دليل أعتمدوا عليه ؟!

ومع هذا فقد روت الآثار كثيرا من هذا التدين المرفوض ومن هذه ما روى أن " ثلاثة نفر سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ فتقالوها ، ثم قال أحدهم :

إنى سأصوم ولن أفطر ، بينما قال الثانى ، سأقوم ولا أفتر ، فقال الثالث وأنا لن أتزوج سأعتزل النساء ، وهنا خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : " أما إنى لاخشاكم لله وأتقاكم له . لكنى أصوم وأفطر ، وأقوم وأفتر ، واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منا " وهكذا فإن عبادة الجاهل لا ترقى به أدنى درجات الكمال أو العبادة الحقة ، إذ تراه سريع الانتقال من شكل إلى شكل ولا ينبئك مثل خبير . والواقع خير شاهد .

وذلك الرجل الذى انقطع للعبادة داخل المسجد ، وسأله سيدنا عمر بن الخطاب من يعولك فقال الرجل يعولنى أخى فأفزعه عمر وقال له : أخوك أعبد منك ، إلى غير ذلك من الشواهد التى تكشف أن العبادة من غير علم ربما كانت على صاحبها ضلالا وانقلبت به إلى المهاوى ، وأردته الدرك الأسفل عند الله وعند الناس وفى دنيا الناس طائفة جهلة يدعون الى الخروج فى سبيل الله مرتحلين فى الأرض تاركين لزوجاتهم رعاية أولادهم وزراعاتهم فاستحلوا الحرمات ، وحرمو الحلال فبئس هؤلاء وماصنعوا .

وسأنبيك خبر بعضهم وتلك إحدى الصور :

- صحبنى تاجر عابد يديم العبادة ، بل أنه يحرص على أداء الصلوات فى الجماعة الأولى ويذبح من آن لأخر فى سبيل الله ، ويعطى أقاربه من الفقراء مالا وفيرا ، وينعم على زوجه وأولاده وعماله ويصوم الفرض والسنة ، وفرحت به لدرجة ما ، حتى سألته يوما عن زكاته وهل أحصاها ، فكان جوابه إن الزكاة بالنسبة له لاتصح لأن الشرط فيها حولان الحول ، وهو صاحب رأس مال يتحرك لا يحول عليه الحول وهو فى حالة واحدة وأنه يكتفى من وجع الرأس بما يقدمه من ذبح وانفاق وكفالة أيتام فى سبيل الله بدل حساب الزكاة والنصاب والحول وخلافه .

ودفعنى الفضول فسألته عن رأس ماله الأصلى من أين أتى به ، فعرفت منه ومن غيره أنه ابتدأ تجارته بالمحرمات فلما كبر سنه وكثر ماله غير نمط حياته ، واستبدل نوع تجارته ، وهو لا يخفى ماضيه بل يفخر بأنه كان سيئا ثم حسن .

وفاسدا ثم صلح وماذا عليه والله قال فى قرآنه حسب رواية صاحبنا : " غافر الذنب وقابل التوب (١) وأنه يحج فى كل عام ، ويعتمر مرتين فى كل عام ، وأنه يغطى من ماله ويُساعد من يحتاج فعجبت من فهمه وعبادته ، وماله الذى أصله الحرام . وقرأت عليه قول الله تعالى " **وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون** " (٢) ولكنه لا يفقه وأظنه لن يفقه فما يزال حاله على ما هو عليه ويبدو انه لايحاول التفكير فى الإصلاح الا على فهمه الذى يسير عليه .

= عرفت طبيا مشهورا ما كان حديثه الا عن الأيتام واللقطاء ، والرغبه فى مساعدة الأخرين بل أنه كثيرا ما ساعد فى قضاء بعض المصالح : وراح يعطى كثيرا حتى أنه أغدق على فقراء اسرته بسخاء ، ولا أخفى أن بعض حسن النية كان يغلبنى فى التعامل معه وقدر من الثقه فيه حتى حسبنى صديقا وظننته . وظل هذا الحال بيننا فترة .

ولا أنسى يوم أن كان يسارع فى إمامة الناس فى الصلاة صوته رخيم وقراءته مقبوله يطيل الركوع والسجود والتلاوة . وجاء يوم ذهبت فيه لمحاضرة عامة باحدى المدن الساحلية وكان الطبيب رفيق الرحلة اضطررنا لقضاء بعض الوقت فى تلك المدينه لدى أحد الضباط الذى يعمل بالمدينة وكان صديقى فى الشباب .

دخلت عليه ومعى صديق الرحلة . فإذا به يقف متعجبا ، ولم يتأخر فسألنى :

---

(١) سورة غافر الاية ٣ ، (٢) سورة البقرة الاية ٢٧٩ .

هل تعرف هذا ؟

نعم إنه الطبيب فلان .

هل تعرف هذا ؟

نعم إنه الطبيب فلان .

أعرفه جيدا .

ثم وجه حديثه إلى صديق الرحلة .

هل توقفت عن تفريغ النساء ، وقتل الأبرياء " ومساعدة الزناه ؟

نظرت إليهما بتعجب فإذا بالطبيب يخفض رأسه نحو الأرض . طلبت من الضابط الانفراد به قليلا ووافق الضابط فتركنا الطبيب وحده فى الغرفة الكبيرة . وكانت المفاجأة قص الضابط إنه أثناء خدمته بالمدينه ذاتها منذ حين فى الأداب ضبط هذا الطبيب يقوم بعمليات تفريغ الحوامل ، وكان يبيع الأطفال بأسعار مختلفة تعاونه سيدة عاقر كانت تقيم فى ذات المدينة بأحد الأحياء الشعبية .

ولم يقف عند هذا القول بل أنه استدرك هذا الطبيب كان يعمل قوادا فى بعض الاوقات من الصيف وأنه ضبط عدة مرات . وكان للحيطة والسلطان مكان يجعلانه يخرج بأمان . ولما كون ثروة غير نشاطه ، واشتغل فى التجاره وتقسيم الاراضى ، ثم ترك المدينه التى شهدت بداية حياته المأساوية وانتقل إلى غيرها ليبدأ حياة جديدة بعيدة عن سلوكياته السلبية القديمة .

بيد أننا فى رحلة العودة فاتحت الطبيب بما حدثنى به الضابط ، فجاء جوابه : كانت هذه بدايات حياتى والتوبة تجب ما قبلها ، ثم جرى الحديث بيننا فأخبرنى أنه ناجح فى تجارته وأنه يزكى ويحج وأنه أقل جرائم من غيره استفسرت منه عن نوع تجارته وكيفية حسابه ربحه فأدركت أنه الربا بعينه مع

التحايل والتحفظ فى الزكاة إذ هو يجمع حوله العديد من الرجال تحت العمل ثم يحسب أجورهم من قيمة الزكاة لهم . وسألته أين أجورهم التى يتقاضونها كمرتبات ثابتة مقابل العمل الذى يقومون به ؟ . فأجاب أنهم لا يستحقون أجرا ومرتبا وهكذا رأيت .

العابد خالطا لايفرق بين أمور شرعية كل منها له مسمى معين : فالزكاة لها إسم خاص بها ومقدار معين ووصف محدد وكذلك الأجور التى تعطّى مقابل نوع العمل الذى يمارس . وطبيعته وعدد ساعاته . ولو كان هذا العابد عالما لفرق بين الثوابت وميز بين القوائم . وأمسك بالصواب بين المتشابهات . ومن ثم كان العابد أقل من العالم وكانت عبادته عليه موقوفة وغالبا ما تقع موقع الرد وعدم القبول .

= اختلاف بين قرناء وقع . وأحدهم فى الخلاف اندفع . واستدعيت لاصلاح ذات البين وكان لابد من معرفة موضوع الخلاف وبخاصة أن أفراد المسألة من المشهورين بالادامة على العبادة حتى أن احدهم يطيل لحيته ويقصر ثوبه . ويواصل حجه مع أن عمله عبارة عن محل أطعمة وحلويات . بينما الثانى يعمل بتجارة أجزاء السيارات وثالث تاجر ذهب ورابع طبيب . وخامس مستغن عن القوات المسلحة . وهكذا فهم جمع اشتات متفرقة . ومشارب مختلفة وأفكار متباينة لكن يجمعهم الحج والعمرة وامتلاك أموال . ودعوى العبادة . أذهم فى المساجد يتلاقون ولكن وقع الخلاف .

حاولت الاصلاح دون جدوى . واضطررت للاستماع لرأى كل منهم فى زملائه فكانت المرارة بعينها . أما أحدهم فكان يعمل لدى شقيق والدته . ومات صاحب العمل وأولاده أيتام وزوجه لاخبرة لها بنوع عمله واستأمنت هذا

العامل وما هى الاسنوات قلائل حتى كان هذا العامل ينافس أصحاب المحلات الكبرى فى نفس التجارة وتفوق عليهم بعد أن ترك محل شقيق والدته يبابا . وهكذا جمع مالا من حرام كله وأكل مال أيتام ، وجرد أصحاب الحقوق من حقوقهم ثم نسبها إلى نفسه والغريب أن المحل الذى افتتحه باسمه كان قريبا من السابق حتى يتمكن من اقتناص المترددين على المحل القديم ذى السمعة المعروفة . وهكذا فإنه فى كل عام يحج ، ويزكى ويزيد فى زكاته رغم أن المال الأصلى للأيتام وليس له : وكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به .

وأما ثانيهم فكان وسيم المظهر فقير المال ضيق اليد تعرف على مسنة لها بنت واحدة وعدد من الأبناء البالغين وكانت المسنة صاحبة مال وتركة ولا هم لها غير هذه البنت الوحيدة عرف طريقه إلى قلب الأم والبنت حتى تزوج الابنة التى وسعته فى منزل اسرتها وما هى الا سنوات قلائل حتى كانت كل الاموال باسمه وتحول إلى تاجر أراض ومقاول بناء وما كان يتطلع يوما الى أكثر من أن يجد قوت يومه ميسرا .

وتمكن من حفر قبر للعلاقات بين الأم وأولادها حتى حرمت عليهم أموالها وأضافت ما بقى لزوج الابنة بحيث لم يبق لها شئ حتى منزل الأسرة الذى باعته المسنة صوريا له فقام بهدمه وإنشاء برج سكنى مكانه من مالها باع وحداته السكنية وصار صاحب ملايين تسمح له بالحج المتواصل والعمرة المتكررة رغم أن المال ليس له ، ولما سألته إذا ما كانت لديه قناعة بما تم فكان الجواب " ربنا عاوز كده" وأنا أستحق وغيرى لا يستحق ، وهكذا بان الذئب على حقيقته ، كشف عن أنيابه الزرقاء ، ومخالبه الحيوانية ، حتى ألقى بالمسنة عرض الشارع واتصل بأولادها عساهم يقبلون عليها ان كانوا يخشون الفضيحة لأنها صارت

عبثًا عليه وتعوق أولاده عن مواصلة دروسهم بكثرة سعالها وأمراضها . وكان رد الجميل بهذا الشكل رغم أنه مايزال الحاج الكريم العابد الذى لا تمر مناسبة من غير أن يذبح فيها الأنعام ، ويطعم الطعام ، وحسبه أنه عابد ، وحسبى أنه جاهل عاش على أموال ليست له ، ولم يفرق بين الحق والباطل ، ولم يعرف الحلال من الحرام . فهل تصلح عبادته ، وهل تدينه يقبل؟!!

أما ثالثهم فكان حاله غريبا ، إنه من أسرة معدمة رأى الفقر بعينيه ، حدثنى أنه كان ينام من غير عشاء ، وهو طفل أغلب الأحيان لعدم وجود قوت بالمنزل وأن والده كان يعمل بمهنة قليلة العائد كثيرة المجهود ، وكان يعمل هذا الثالث لدى أحد أقاربه ، لديهم سعة مال ، وبحبوحة حياة ، وكم تمنى أن لو كان مثلهم أو قبلوا اضافته اليهم فلما يجد مكانا بينهم انقلب عليهم .

عدت به الأيام عدوا ، وصار فى ذات المهنة معلما ، وما يزال أجره يربو قليلا رغم كونه يدير المحل كله ، فكر وفكر ثم استقر أمره على أن يقترض من مال المحل - دون علم صاحبه - مبلغا تاجر به فى سوق العملة ، كان يغلق المحل - وأصحابه يظنونه مفتوحا - ويذهب إلى المنصورة وبورسعيد يستبدل ويتاجر فى العملة أيام السوق السوداء . حتى صار صاحب مال زاعما أنه ماله .

اشترى أراض للبناء بأطراف المدينة وكان رأس المال من المحل الذى يعمل به على طريقة القرض إياها ، وما كان صاحب المحل يفكر فى مراجعة رأس المال الكل يسرق والزبون هو المغفال الوحيد وبخاصة إذا قاده إلى هذا التاجر .

سمسار بالنقد أو الأدب (١).

فلما كبرت تجارته واتسع سلطانه وامتد بدأ يعطى بالقروض الميسرة . فإذا اشترى بطاريات للسيارات سعر الواحدة ستون جنيها باعها قسطا بمأتين وأربعين وجملة الأقساط إثناعشر قسطا ، وهكذا استغل رأس مال المحل مرتين مرة فى السرقة منه ، وأخرى فى السرقة من أموال الكادحين .

بل فى مجال الفخر والفهلوة قال : كانت البطارية جديدة فأقول لصاحبها إنها ممشمشة (٢) . ولا تتحمل المسافات فيصدقنى وأطلب من العامل فكها وأناقش صاحبها فى سعرها كقطعة حديد ، وطبعا لا يهمه أمرها فإذا باعها لى بثمن بخس ، وبعت له الجديد بثمن غال وانصرف ملأتها بالماء الخاص بها - ماء النار وشحنتها ثم سنفرتها وغسلتها حتى صارت جديدة ، وهكذا أبيعها جديدة وكونت ثروة بنت .... ومازلت أكافح وأودى فرض الله وأدفع من مالى لله .

والغريب أن هذا العابد تفاخر زوجه أنها تعطى الفقراء والمحتاجين ، بينما هم لصوص وأهل غش ، وأدهشنى أن هذا العابد يقضى العشرة الأخيرة من

---

(١) بعض الأطباء كان له فى كل بلد حلاق أو أكثر يعطى الواحد منهم إذا أحضر مريضا العيادة بعض الأدوية هدية ، أو بعض المال ، وهذا سمسار بالنقد ، وبعضهم كان يستضيفه الطبيب فى منزله لعلو قدره فهو سمسار أدبى ، وكذلك بعض محلات الذهب ، وبعض محلات الاقمشة ، والحمد لله أنها صارت بلوى عامة أشترك فيها سائقوالتاكسى مع بوابى العمارات ، والكل يتعلل بضغط الحياة وكثرة النفقات وارتفاع الاسعار رغم أن الأرزاق بيد الله ولو آمنوا حقا بالله لايقنوا ان ماعنده هو القضاء والقدر.

(٢) ممشمشة : يعنى تصلح للعمل قليلا ثم تنتهى فاعليتها .

رمضان فى الكعبة وكل عام يذهب للحج وأحد محلاته مايزال يمارس الغش والربا وأظنه لن يتخلى عنهما ، لأن المصاريف كثيرة والزمان ليس له أمان . وكم تعددت أنشطته وما تزال حتى صار له فى تجارة الذهب ، وفى تجارة الخردة ، بل وفى مخابز العيش ، والبطاريات وتقسيم الأراضى ، والكل يذكر الحاج.......... ويتمنى خدمته والحاج غارق فى أحلامه ، وأنه عابد ، وأنه من أهل الله حتى قال لأهله . بعد مماتى أمد الله فى عمرى ابنوا لى مقاما . وأعملوا لى أسبوع مولد . أجل الدنيا مولد . والرجل يحتاج أقامة موالد....و..... ولوكان عالما لكانت عبادته عكس ما يفعل .

وأحسبك تعذرنى وتعذر لى من عدم ذكر باقى النماذج لأنها من هذا القبيل وأغلب المشارب واحدة وأظنك لو حللت الظروف التى نشأوا فيها ، والتكوين النفسى ، والقاسم المشترك سترى أنها عناصر متقاربة فى كل شئ ، حتى فى تدين العابد . والله من ورائهم محيط .

أما رابعهم : فهو وإن لم يكن صاحب خلاف معهم فقد كان وكيلا لاحدى الوزارات سمح له عمله فيها أن يستفيد بقدر ما تمكن وبخاصة أن تخصصه الدراسى كان يعمل فى ذات الوزارة ، وابتدأ الطريق من أوله حتى وصل إلى أن شغل وظيفة وكيل وزارة بها .

رزق بنات وأولاد ، وكان همه الولد وليس البنت ، ولذا لم يوفق أحدهم مبكرا بينما تخرجت البنات وانتقلن إلى بيوت ازواجهن التى وجدن السعادة فيها ، حرص الرجل على القيام بأعباء العبادة من وجهة نظرة - على النحو الأكمل فهو يقرأ من القرآن الكريم جزء ، ويصلى ما شاء من النوافل حتى تعجز عن حمله قوائمه ، يسير فى مصالح الناس ، وما من مصلحة الا كان فيها صاحب وجه

واحد وهكذا قام للحج والانفاق والزكاة ، بل وربما تبرع لمصالح خيرية بجزء من أرضه حتى تحدث الناس عن كرمه وتناقلوا سخاءه .

وجاء دوره مع أولاده ، فهو يميز بين الأولاد حتى أن أحدهم أنفق عليه أبوه ما يزيد على الستين ألفا بينما الثانى رفض أبوه أن يعطيه مقدم شقة يقطن بها بل إن زوجه ماتت وتركت ميراثا وضع الرجل يده عليه ولم يسمح لأصحابه من بناته وأولاده بالوصول إليه وأكثر من هذا رفض تعويض البنات أو مديد المعونة لاحداهن إذا وقعت فى ضائقة اللهم إلا خوف أن يقال له أو يقال عليه .

حتى إذا استجدت أمور فاقت احتمال المحرومين وطالبوه بحقوقهم المالية العائدة إليهم من ميراثهم فى والدتهم أبى ، وهمّ - بحكم عمله السابق - الى وضع يده على ممتلكات أمهم حتى لا يسمح لهم أو أحدهم بالوصول إليه ، باستثناء هذا الابن المميز الذى اشترى له أبوه سيارة و شقه فاخرة ، وكذلك الأثاث الفاخر والرياش والثياب والذهب لزوجه ..وانهمرت المنح المتزايدة عليه كالمطر رغم أنه أصغر أبناء الرجل .

ذكرته بعبادته وتلاوته للقرآن الكريم وتدينه المستمر وسنه التى تجاوزت السبعين وشرع الله الذى لا مفر منه ولا محيد عنه ، فكان جواب الرجل : إن شرع الله صعب ولن أطيق تطبيقه ، وهكذا نسف الرجل كل عبادته ، وألقى فى سلة المهملات كل تدينه وأدركت والحاضرون أن الرجل ضل طريقه نحو التدين الصحيح ، إنه تدين العابد الذى لا يفقه من أمر دينه إلا وجها تصوره هو وإن لم تقره عليه النصوص الشرعية ولايقبله العرف السليم .

رجوناه العدل فأبى ، ذكرناه الموت وضيق القبر فأجاب بأنه إستعد له ، ذكرناه إن هذه حقوق ولابد أن تعود إلى أصحابها . قال : لقد أوصيت أولادى أن لا يمكنوا أيامن أخواتهم بامتلاك الأرض حتى لا يدخل زوجها وهورجل غريب على ميراث أرضى أنا أو أرض أمهم . بل للأولاد أن يعوضوا البنات بالنقد حسب مايرضى به الأولاد لا حسب ما يحكم به الشرع أو العرف : وقال أخيرا : أنا الشرع والمشرع ، رغم أنه لا يعرف معنى الكلمتين متجاورتين أو على سبيل الانفصال . وهكذا أدركت أنه تدين العابد الذى يقطعه أرق ريح ، وتلقى به أحضان الهلاك ليسمع أقرب فحيح . وفى دنيا الناس من هذا ألوان .

٨- تدين العالم العابد :

العالم حجة من حجج الله على عباده ، لأن العالم هو صاحب الخشية من الله تعالى : " **إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور** " (١) قال العلامة الصاوى : " إن خشية الله شرطها العلم والمعرفة به ، فمن اشتدت معرفته لربه كان أخشاهم له ، ولذاورد فى الحديث أنا أخشاكم لله وأتقاكم له وقرئ شذوذا برفع - لفظ - الجلالة ونصب العلماء ، والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء ، وإنما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له ، فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى ، فإن الله أخبر أنه يعظمهم ويجلهم " (٢) .

ويجب فهم الخشية - إذ قبلت القراءة الشاذة - على معنى آخر يليق برب العالمين ، وإلا فتخريج القراءة الشاذة على معنى الخشية الوارد فى لغة العرب باعتباره ، حقيقة لغوية لا تجوز بالنسبة لله وتصير القراءة المتواترة بنصب لفظ الجلالة ورفع العلماء أدعى للتمسك بها وحدها وإهمال ماعداها .

(١) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٢) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين المجلد الثالث ص ٣١٣ ط دار الفكر .

والا كان موافقة لهوى النفس . وأستعيرما قاله شيخ المادحين الامام البوصيرى :

وخالف النفس والشيطان واعصهما   وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وقد فهم العلماء الآية بقراءتها الصحيحة والشاذة وخرّجوا كل واحدة منها . فمنهم من مال إلى أن المعنى إنما يخشى الله العالمون به . وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة . لما أن مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشؤنه " وهو رأى الامام أبى السعود .

وأيده البيضاوى لأن " شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى منه . ولذلك قال عليه السلام : إنى أخشاكم لله وأتقاكم له . ولذلك اتبعه ذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته . وتقديم المفعول - لفظ الجلالة - لأن المقصود حصر الفاعلية ولو أخر أنعكس الأمر ومنهم من فهم الآية على معنى آخر . وكل منها على ناحية مقبولة .

أما على القرءاة الشاذة فقد تلمّس لها معنى آخر وذكر القراءة مهملا اياها فقال : " وقرئ برفع الجلالة - الله - ونصب العلماء على أن الخشية مستعار للتعظيم . فإن المعظم يكون مهيبا .

وذكر القرطبى القراءتين ثم تساءل عن معنى الخشية على القراءة الثانية بعد أن نسبها إلى صاحبها فقال :فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ : إنما يخشى اللهُ بالرفع من عباده العلماء بالنصب وهو عمر بن عبدالعزيز . وتحكى عن أبى حنيفة : قلت الخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى : إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشىّ من الرجال بين الناس من بين جميع عباده أن الله

عزيز غفور" (١).

والعلماء ورثة الانبياء ، والعلماء هداة الامم إلى النور فى الظلم وهم دعوة حق الى الله ترفع ، ورجاء عند الله مقبول .فالعلم أفضل من العقل ، والعلم أفضل من المال ، والعلم أفضل من العبادة فإذا أضيف إلى العلم العقل والمال والعبادة ربما كان هذا هو المعنى بقوله ﷺ" المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير"

والعلماء يورثون علما كلما بذلوه أربى وزاد ، ويورثون محبة مع الأيام تنمو وتزداد ، وقس على ذلك سائر ما يتعلق بالعلم وما يلحق بالعلماء ومّن ثم كان الشأن مع تدين العالم ، إنه تدين يقوم على العلم لا على الجهل ، يقوم على محبة الله تعالى والخشية له لا على المنصب والنفوذ والجاه ، تدين ينشد المحبة لكل الناس ، لأن أهم أغراضه هو أرضاء رب العالمين ، وربما نعيد على الاسماع ماهتفت به جوانح الشاعر :

الأرض تحيا اذا ما عاش عالمها ... متى يمت عالم منها يمت طرف

الأرض تحيا أذا ما الغيث حل بها ... وإن أبى عاد فى أكنافها التلف (٢).

فمن هو العالم العابد إذن ؟

الجواب: أن العالم هو من يعلم الشيئ على حقيقته ، ويعرفه حق معرفته من ناحية صحته وحقيقته والأمور المتعلقه به لأن " العلم هو ادراك الشئ بحقيقته"(٣) والعالم هو العارف بالشئ من حيث هو . والعالم من البشر يعرف

---

(١) الامام سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل - الفتوحات الالهية المجلد الثالث صـ ٤٩٤ ط دار المنار للنشر والتوزيع . وط عيسى البابى الحلبى .

(٢) الشيخ / محمد على الصابونى - صفوة التفاسير المجلد الأول صـ٨٨ .

(٣) المعجم الوجيز مادة ع ل م صـ ٤٣٢ .

علما واحدا ويظفر به حتى يصير متفردا فيه دون غيره من العلوم . وبهذا المعنى نجد علماء الدين ، وعلماء الطب ، وعلماء الهندسة ، وعلماء النبات ، وعلماء الذرة وكل علم فيه علماء لأنهم العارفون خباياه المحيطون بأسبابه ونتائجه بحسب الطاقة البشرية .

والعابد هو من ينقاد لله ويخضع له ويذل ، وبالتالى فإن العالم العابد يمكن تعريفه بأنه : العالم بالشئ على حقيقته الخاضع لله تعالى خضوع انقياد حب وطاعة ، وبالتالى تكون قد اجتمعت فيه أمور منها .

أ- أنه عارف طريقه نحو الله رب العالمين .

ب- أنه منقاد لهذا الاله الخالق العظيم .

جـ- أنه مستمر على عبادة الله واضعا فى اعتباره أن رضى الله أسمى أمانيه .

والعالم العابد خير كبير وكنز عظيم ، جعل الله طاعته أمرا مؤكدا - متى كان العالم بأمور الشرع القائم عليها - قال تعالى " **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**" (١) قال الامام الفخر : " والمراد من أولى الأمر العلماء فى أصح الأقوال لأن الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس (٢) .

بل أن الله تعالى زكى العلماء فى شهادتهم متى كانوا عليها عاملين قال تعالى : " **شهدالله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم** " (٣) وزاد الله فى اكرام العلماء فجعلهم فى المرتبة الأولى فى

---

(١) سورة النساء والاية ٥٩ .

(٢) الامام الفخر الرازى مفاتيح الغيب المجلد الاول صـ ٦٠٠ ط دار الغد العربى .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٨

ايتين من الذكر الحكيم قال تعالى : " **وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب** " (١) وقال تعالى : " **قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب** (٢).

وحث الله تعالى على محبة العلماء وبين أنهم أعلى من غيرهم درجات ، وأن رفع درجاتهم عند الله تعالى أمر مقرر منه سبحانه وتعالى قال الله تعالى " **يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات** " (٣) حتى فهم كثير من العلماء أن تفضيل الله للعلماء العابدين مستغرق التفضيل على جميع العالمين .

قال الامام الفخر " فضل الله أهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات ، وفضل المجاهدين على القاعدين بدرجات ، وفضل الصالحين على هؤلاء بدرجات ثم فضل العلماء على جميع الأصناف بدرجات ، فوجب أن يكون العلماء أفضل الناس (٤) فما بالك بتدين هذا العالم العابد الذى قام على شرع ربه ، وامتثل أمره ، ولم يدخر وقتا فى ارضائه جل علاه .

وقد ذكر الامام الفخر أن الله تعالى خص العلماء فى كتابه الكريم بخمس مناقب جاءت كلها قرآنا يتلى :

أحدها : الايمان بالله ، قال تعالى " **والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** " (٥).

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧ (٢) سورة الرعد الآية ٤٣

(٣) سورة المجادلة الآية ١١ .

(٤) الفخر الرازى - مفاتيح الغيب المجلد الاول صـ ٦٠١

(٥) سورة آل عمران الآية ٧

ثانيها : التوحيد والشهادة : قال تعالى " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم (١) .

ثالثها : البكاء من خشية الله . قال تعالى : " إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا " (٢) .

رابعها : الخشوع لله . قال تعالى : إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون عليهم للأذقان سجدا "

خامسها : الخشية من الله : قال تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماء " (٣) .

إذن العالم العابد يقوم تدينه على الايمان بالله والاقرار له بالوحدانية ، والخشية منه ، والخضوع له والبكاء من خشيته ، وتلك المناقب لا تجتمع فى غير المؤمن العالم العابد . من ثم كان تدينه هو المقبول شرعا ، الناجى عند الله تعالى .

يقول الامام الفخر فى معنى الآية الكريمة : إنما يخشى الله من عباده العلماء : " إن الخشية من الله تعالى من لوازم العلم بالله ، فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله ، وهذه الدقيقة تنبهك على أن العلم الذى هو سبب القرب من الله تعالى هو الذى يورث الخشية وأن أنواع المجادلات وان دقت وغمضت اذا خلت عن افادة الخشية كانت من العلم المذموم " هذا على القراءة المشهورة بنصب لفظ الجلالة ورفع العلماء .

---

(١) سورة آل عمران الآية/١٨ .

(٢) سورة الإسراء الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣) سورة فاطر الآية ٢٨ - انظر مفاتيح الغيب المجلد الاول صـ٦٠١ .

اما القراءة الثانية الفردية التى تقوم على رفع لفظ الجلاله ونصب العلماء فإن الامام الفخر يوجهها على نحو يراه ، مقبولا عنده قال " قرئى : إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ برفع الأول ونصب الثانى ومعنى هذه القراءة : أنه تعالى لو جازت الخشية عليه ، لما خشى العلماء لأنهم هم الذين يميزون بين ما يجوز وبين مالا يجوز ، وأما الجاهل الذى لا يميز بين هذين البابين فأى مبالاة به وأى التفات إليه ، ففى هذه القراءة نهاية المنصب للعلماء والتعظيم .

ونقل الفخر" عن عيسى ابن مريم عليهما السلام قال : إن أمة محمد ﷺ علماء حكماء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ، ويرضى الله منهم باليسير من العمل ، ويدخلون الجنة بلا إله إلا الله " (١) .

لكن كيف تعرف العلماء العاملين العابدين من مدعى العلم والزهد ؟ والجواب ماروى أن رسول الله ﷺ قال : " لا تجالسوا العلماء إلا إذا دعوكم من خمس إلى خمس .

١- من الشك إلى اليقين .

٢- ومن الكبر إلى التواضع .

٣- ومن العداوة إلى النصيحة

٤- ومن الرياء إلى الاخلاص .

٥- ومن الرغبة إلى الزهد " (٢) .

---

(١) المصدر السابق صـ ٦١٣ .

(٢) المصدر السابق صـ٦١٩ .

والناقد البصير يدرك أن العلم أهم من العقل وأعلى منه منزلة وقدرا سئل " النبى محمد ﷺ ما العلم ؟ فقال : دليل العمل : قيل فما العقل ؟ قال : قائد الخير ، قيل : فما الهوى : قال مركب المعاصى ، وقيل فما المال ؟ قال : رداء المتكبرين . قيل فما الدين : قال : سوق الآخرة (١)

وهكذا أنبأت النصوص أن تدين العالم العابد أرقى الأنواع ، وهو المقبول من بينها ، وأن ما سواه مصروف عنه ، وأن العالم له مناقب يعرف بها ، وصفات تدل عليه ولا يكون عالما متدينا إلا إذا اجتمعت فيه هذه الخصال التى أفاض فى تناولها العلماء العاملون ، والباحثون المفكرون ، ولطالب المزيد الرجوع اليها فى مظانها وسوف يظفر بها .(٢) وفيما ذكر كفاية لظروف البحث فلنرحل إلى غير هذا الأمر . والله المستعان .

---

(١) المصدر نفسه ص٦١١ .

(٢) ممن أفاض فى هذا الفخر الرازى مفاتيح الغيب المجلد الأول ٦٠٠ / ٦٥٠ وكذلك المطالب العالية جـ٧ ، ٨ ، ٩ تحقيق د / أحمد حجازى السقا .

المبحث الثانى

تعريفات الدين

الدين

الدين من الألفاظ التى دار حولها القول ، من حيث هو لفظ ، ومن حيث المعانى التى تحيط به وتدور فى فلكه - ممثلة نفسها كأثواب للمعانى التى لابد منها لكل لفظ ، ومن ثم يمكن القول : بأن لفظ الدين من الألفاظ الثرية فى مفرداته ومعانيه بل يمكن القول بأن لفظة الدين فى اللغة العربية " من أعمق الكلمات وأثراها بالمعانى المتعددة والمتنوعة التى تشمل كثيرا من جوانب الحياه"(١) ، ومن أبرز الادلة على ذلك ما يلى :.

١- كثرة ورود مادته فى القرآن الكريم.

أجل تكرر ورود مادته فى القرآن الكريم بكثرة حيث بلغت قرابة المائة وخمس عشر مرة موزعة فى الكثير من سور القرآن الكريم . وقد تكفل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بأحصائها وتقديم بيان كامل عنها من حيث السور الموجودة بها ، ورقم السورة فى المصحف ورقم الأية أو الأيات من السور ذاتها ، مما يجعل الرجوع اليها امرا ميسورا (٢)

٢- كثرة ورود معانيه فى لغة العرب.

وأية ذلك أن لفظ الدين ورد فعله متعديا ولازما ، وفعلا واسما ومصدرا ، بل لكل واحد منها كثرة من المعانى مما يجعل احصاءها وتقديم معنى محدد امرا غاية فى العسر ، وإلا كان تعريفا لأحد المشتقات المتعلقة بمادة د ى ن وليس تعريفا جامعا مانعا لمعنى الدين أولفظه . اذ من معانيها الدين ، والأجل ، والموت

---

(١) الاستاذ الدكتور - محمد كمال جعفر - الاسلام بين الاديان صـ١٩ مكتبة دار العلوم .

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة دين ص ٣٦٧/٣٦٩

والجزاء، وما يتعلق بالعقيدة - الاسلام .إلى غيرها من المعانى التى حفلت بها كتب اللغة من ثم يحسن الانتقال إلى تعريف الدين فى كل من اللغة والاصطلاح

فما هو تعريف الدين فى اللغة ؟

أ- الدين فى اللغة :

جاءت لفظة الدين ومادتة د ى ن فى كتب اللغة على معان متعددة منها .

١- ماله أجل .

حيث يقال : الدين : ماله أجل ، سواء كان نقدا ، أو عهدا ، وذلك فى مقابلة مالا أجل له كالقرض والهبة ، فانه لا أجل للقرض ، كما لا أجل للهبة ، وانما المقرض والواهب لا يحتاج كل منهما وأمثالهما إلى أجل يضرب حتى يسترد الأول ما قرض ، والثانى ما وهب .

ومنه قولهم : دنته بالكسر ، وأدنته : اعطيته إلى أجل :(١)

٢- الجزاء والحساب .

ومنه قولهم : الدين بالكسر الجزاء ، وقد دنته بالكسر دينا .... وحاسبه وجازاه .

٣- الاعتقاد والاسلام .

ومنه قولهم : دنت به بالكسر ، والعبادة والطاعة

٤- اسم لما يتعبد به الله تعالى . ويتدين به

كالتدبر والتوحيد وهو على كل اسم لما يتعبد به الله تعالى(٢) وجمعه أديان .

---

(١) القاموس المحيط : المجلد الرابع مادة د ى ن (ص ٢٢١)

(٢) المصدر السابق (ص ٢٢١)

٥- الملة والورع .

ومنه قولهم : فلان دان بالاسلام ، وتدين به .

٦- باقى الارث .

ومنه ما جاء فى الحديث الشريف " كان النبى ﷺ على دين قومه ، اى على ما بقى فيهم من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى حجهم ومناكحتهم وبيوعهم وأساليبهم ، وأما التوحيد فانهم كانوا قد بدلوه ، والنبى ﷺ لم يكن إلا عليه .(١)

٧- الخضوع والذل .

ومنه قولهم : دان فلان بكذا بمعنى أتخذه دينا وتعبد به .(٢)

ورغم كثرة معانيه إلا انه يمكن وضعها فى مجموعات صغيرة بناء على تعدى الفعل ولزومه ، ويكون المعنى المراد هو المتابع لذلك اللزوم او التعدى وذلك على النحو التالى :

أولاً - معنى المتعدى واللزوم .

المعلوم أن الفعل باعتبار تعديه ولزومه ينقسم إلى :

١- المتعدى : " وهو الذى يصل إلى مفعوله بغير حرف جر ، نحو ضربت زيدا " (٣) وشاهدت هاشما :

وامثالهما . ويسمى الفعل متعديا وواقعا ومجاوزا ، على لغة النحاة

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٢١)

(٢) المعجم الوجيز مادة د ى ن (ص ٢٤١)

(٣) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك (ص ٧٥)

٢- اللزوم : وهو ما لا يصل إلى مفعوله الا بحرف جرنحو مررت بزيد أولا مفعول له نحو قام زيد " ويسمى الفعل فى حالة اللزوم . لازما وقاصرا . وغير متعد . ومتعديا بحرف جر" (١) وعلى هذا يمكن اعتبار اللازم متعديا لكن بحرف جر ولا يمكن اعتبار المتعدى بنفسه لازما.

قال ابن مالك رحمه الله :

علامة الفعل المعـدى أن تصل	هـا غير مصدر به نحو عمل
فانصب به مفعوله إن لم ينب	عن فاعل نحوتدبرت الكتب(٢)

وقد يعرف كل منهما بأن .

أ- المتعدى هو.

" ما يتوقف فهمه على متعلق كضرب " والمتعدى يكون إلى واحد كضرب . والى اثنين كأعطى وعلم . وإلى ثلاثة : كأعلم وأرى . وأنبأ ونبأ . وخبّر وأخبر........

ب- اللازم . هو.

" غير المتعدى بخلافه - أى بخلاف المتعدى - كقعد " (٣) من هنا يتبين لنا أن الفعل المتعدى هو الذى ينصب مفعوله بنفسه من غير واسطة حرف الجر. وهو الأصل فى المتعدى . غير أن هذا المتعدى قد يمتد إلى الفعل اللازم فيصير متعديا لكن لابنفسه كما هو الحال فى المتعدى الأصلى ، وانما يصير متعديا بالانتقال من صفة اللازم إلى صفة التعدى . وذلك فى خصوصية معينة وليس على سبيل الإطلاق

---

(١) المصدر السابق (ص ٧٥)

(٢) مجموع مهمات المتون ألفية ابن مالك فى النحو والصرف (ص ٣٣٤ ط الحلبى)

(٣) ابو عمرو عثمان بن عمر بن أبى بكر الروينى جمال الدين بن الحاجب - متن الكافية (ص ٤١٩) مجموع مهمات المتون

من ثم يحسن عدم الاعتماد وعلى ماآل اليه الأمر عند المتناولين للمسألة وانما يجب الاحتياط باكبر قدر ممكن . ومادة . دين . من هذه المواد التى يجب النظر فى المصادر الأصلية عبر تناولها ولايكتفى فيها بما مال إليه البعض ، من ان كلمة الدين لايمكن التعرف عليها من خلال المعاجم العربية .

ثانيا : الدين من الفعل المتعدى واللازم .

استعمالات لفظ الدين ودلالاته تقع بين تعدى الفعل ولزومه ـ من حيث اشتقاقها وعدم الاشتقاق ـ ومن ثم يحسن بنا أن نذكر فعلها من حيث التعدى واللزوم

١- الفعل المتعدى بنفسه(١)

ومنه قولهم دانه يدينه ، ودان فلان فلانا . كما أن كلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه "دانه يدينه" (٢) وطبقا لهذا المعنى تكون كلمة الدين معناها ." الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك ، من السياسة والحكم والقهر ، أو المحاسبة والمجازاة ، ومن ذلك قوله تعالى " مالك يوم الدين " اى يوم المحاسبة والجزاء ، ...

وفى الحديث الشريف " الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت " أى حكمها وضبطها . والديان الحكم القاضى (٣) " وطبقا لهذا المعنى ـ المشتق من الفعل المتعدى بنفسه . أتضح أن الدين هو الملك مع امكانية التصرف فى المملوك بكافة الانواع ، وهذا يتعلق بالله رب العالمين ، فلا مالك بكافة معانى الكلمة سواه .

---

(١) ونعنى به الفعل الذى ينصب مفعوله مباشرة من غير واسطة حرف الجر .

(٢) الدكتور. محمد عبدالمنعم دراز. الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الإديان (ص ٢٥)

٣- المصدر السابق (ص٢٦)

٢- اللازم وقد تعدى بحرف جر.

وهذا النوع يقال عليه انه متعد لابنفسه بل بواسطة حرف الجر، لأنه فى الحقيقة لازم لامتعديا فلما عُدِّى بحرف جر اصطبغ به وهو أنواع ثلاثة.

١- المتعدى بحرف الجر "اللام" ومعناه الخضوع والذل.

فإذا قيل "دانه له" كان المراد انه أطاعه وخضع له، وذل "فالدين هنا هوالخضوع والطاعة والعبادة والورع، وكلمة الدين لله "يصح أن يفهم منها كلا المعنيين : الحكم لله، أو الخضوع لله (١).

وهذا المعنى عكس الاول تماما - المتعدى بنفسه - لأن الاول يعنى الملك والسيطرة بينما الثانى يعنى الخضوع والذل وكلاهما ملازم للثانى عكسا وطردا بحيث اذا وجد معنى احدهما انصرف الثانى الى المعنى الثانى مباشرة.

٢- المتعدى بحرف الباء ومعناه الالتزام والاعتقاد وذلك مثل" قولك : دنت به " أى التزمت به عقيدة ومذهبا " (٢) وعلى هذا يكون من دان بشئ فقد " اتخذه دينا ومذهبا، اى اعتقده أو اعتاده وتخلق به، فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التى يسير عليها المرء نظريا أو علميا، فالمذهب العملى لكل امرئ هو عادته وسيرته، كما يقال : هذا دينى وديدنى، والمذهب النظرى عنده هو عقيدته ورأيه الذى يعتنقه، ومن ذلك قولهم "دينت الرجل، أى وكلته إلى دينه ولم اعترض عليه فيما يراه سائغا فى اعتقاده(٣).

---

(١) المصدر السابق (ص٢٦)

(٢) الدكتور / محمود محمد مزروعه - دراسات فى الملل والنحل (جـ١ ص٨) مطبعة العاصمة ١٣٩١/١٩٧١م

(٣) الدكتور / محمد عبدالله دراز. الدين (ص٢٦)

" قال أبوزيد : هو من قولهم : دُين فلان يدان إذا حمل على مكروه وقيل هو من دنته اذا جازيته بطاعته (١) .

٣-المتعدى بحرف الجر "فى " ومعناه قبول ما حكم به .

ومنه قولهم : دين فلان فى الأمر المحكوم به من جهة القاضى وتكون بمثابة الدستور والقواعد القانونية المنشأة فى القانون الادارى .

"وجملة القول .... ان كلمة الدين عند العرب تشير الى علاقة بين طرفين أحدهما يعظم الأخر ويخضع له "ورباط قوى يجمع تلك العلاقة القائمة" بين الطرفين" فإذا وصف بها الطرف الاول كانت خضوعا وانقيادا .

واذا وصف بها الطرف الثانى كانت أمرا وسلطانا .

واذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة ، أو المظهر الذى يعبر عنها " (١)

مما سلف يمكن القول بأن تعريف الدين فى اللغة أمر ميسور ، سواء باعتبار المعانى المترادفة على لفظ دين ، أو باعتبار اشتقاق الفعل من ناحية لزومه أو تعديه ، وهناك نكتة طريفه ذكرها شارح القاموس ناسبا اياها إلى عالم العربية الأصمعى حيث قال :"نقل الأصمعى عن بعض العرب" أن الدين بفتح الدال لأن صاحبه . صاحب الدين . يعلوا المدين " وبخاصة حين يطالبه به .

وأن الدين بضم الدال من الدنيا لابتنائها على الشدة .

أما كسر دال الدين فلا بتنائه على الخضوع " (٢) وأظن هذا الفرق يحمل من الظرف ما يجعله محل قبول عند البعض وتنكر لدى الاخرين .

---

(١) الدكتور محمد عبدالله دراز. الدين (ص٢٧)
(٢) القاموس المحيط جـ٤ هامش (ص٢٢١)

طبقا لما سلف بيانه يمكن القول بأن مادة - د ى ن - كلها تدور فى اللغة على معنى لزوم الانقياد والالتزام معا . وقد عبر الدكتور دراز عن هذا الحديث حيث : قال " المادة - د ى ن - كلها تدور على معنى لزوم الانقياد فإنها - مادة دين - على الاستعمال الاول ، يكون معنى الدين هو إلزام الانقياد ، وفى الاستعمال الثانى يكون معنى الدين هو التزام الانقياد ، وفى الاستعمال الثالث يكون معناه أن الدين هو المبدأ الذى يلتزم الانقياد له ، ولا يخفى ان معنى اللزوم هذا هُو المحور الذى تدور عليه كلمة الدين بفتح الدال (١).

ويقدم - رحمه الله - تفرقة بين لفظى الدين بالفتح والكسر ويؤكد وجود علاقة بينهما تقوم على أن مفهوم الالتزام يجمعهما تحته ويضمهما بين جناحيه ، وان كان أحدهما يقع فى دائرة الالتزام الادبى بينما الثانى يقع فى دائرة الالتزام المادى ، أو أن أحدهما يكون فى الحسيات بينما الثانى يكون فى المعنويات وان كان كلاهما من جنس واحد ، ولذا تراه يقول :

" الفرق بين الدين بالفتح والدين بالكسر هو أن أحدهما يتضمن فى الأصل - اللغوى - الزاما ماليا ، والآخر يقتضى الزاما أدبيا...ومن تصاريف العربية - حين تريد التفرقة بين الحسيات والمعنويات التى من جنس واحد - قد تكتفى بتغيير يسير فى شكل الكلمة مع ابقاء مادتها كما هى ، مثل العُوج والعَوَج ، والخَلْق والخُلُق ، والكِبْر والكِبَر " (٢) بل وبين سائر هذه المتماثلات كالبَهم والبُهم فكل منها تؤدى معنى مخالف تماما لما تؤديه الثانية مع اشتراكهما فى مادة واحدة ، إذن المعول عليه ليس مادة الكلمة وحدها وإنما مادة الكلمة وسياق القول وتركيب الجملة .

---

(١) الدكتور / محمد عبدالله دراز - الدين ص٢٧ بتصرف يسير. (٢) المصدر السابق ص٢٧.

وان رمت دليلا على ما ندعيه فهاك أدلة .

١- من القرآن الكريم :

جاء قوله تعالى " مالك يوم الدين " (١) معناه مالك يوم الجزاء ، وقوله تعالى " ذلك الدين القيم " (٢) معناه ذلك الحساب الصحيح ، والعدد المستوى (٣) والأمثلة القرآنية فى هذا الشأن كثيرة بحيث يجد الناظر اليها تكاملا واضحا وشبها قويا ، ودقة مع جدة ، فى جزالة وعذوبة ، مع اعجاز وايجاز كما هو المعهود فى القرآن الكريم .

٢- من السنة النبوية المطهرة :

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة " (٤) والمراد من الدين هنا الموصوف باليسر هو دين الاسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ .

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول : " لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديار ، رهابنة ابتدعوها ما كتبناها عليهم " (٥).

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٤.

(٢) سورة التوبة الآية ٣٦.

(٣) لسان العرب مادة وى ن.

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه جا صـ١٢

(٥) أخرجه أبو داور جـ٢ صـ١٠٢ واللفظ له.

وفى الحديث الشريف " إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق " والملاحظ أن الدين وصف فى الحديث الأسبق باليسر ، وفى هذا الحديث بالقوة والصلابة والشدة ، أما لماذا فلأن السياق اقتضاه ، إذ فى الحديث الأسبق تأكيد على نفى المغالاة والتشدد ، وأن المغالى والمتشدد وأمثالهما لا يمكنهم أن يتركوا الرخص متذرعين بالعزائم ، داعين الى التشدد ، فالحديث الشريف " إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه " والاستمساك بالعزائم وحدها فيه نوع من مقارعة الدين لا الاستمساك به ، من ثم كان الحديث الشريف : " فإن من يشاد هذا الدين يغلبه " ولن يتمكن من الاستمرار على العزائم تاركا أمر الرخص وأبسطها النسيان واستدراك ما فات فيه .

أما فى الحديث " إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق" فإن الأمر يتعلق بقدرات الناس وامكانياتهم وأن قوة إيمانهم وشدة تمسكهم بدينهم إنما تعود على الخير الوافد اليهم من جراء تمسكهم بدينهم ، والمتانة فى الدين لفظ متسع يشمل اصحاب الرخص والعزائم وما دونها وكل بقدر عمله يثاب ، والمتانة هنا نوع من الاستيعاب بجانب القوة والصلابة ، ولعل هذا ما يؤنس له بقوله ﷺ " بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قُمُص ، منها ما يبلغ الثدى ، ومنها ما دون ذلك ، وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا فما أوّلتَ ذلك يا رسول الله قال : الدين (١)

ولعل الحديث الشريف قد أشار الى منزلة سيدنا عمر بن الخطاب ومنزلته بين سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وأنه ﷺ قد امتاز عن سائر الناس بشئ استقر فى نفسه ، واعتصم داخل فؤاده أنه التمكن فى الدين .

---

(١) أخرجه البخارى جـ١ صـ٩، جـ٩ صـ٣٦ والنسائى جـ٨ صـ١١٣.

ومحاولة التمكن منه ،ولذا فضل عليهم به . إذن لفظ الدين لا يمكن فهمه مجردا على أصول اللغة الا منصرفا الى الإلزام والالتزام والطاعة والانقياد لقوة أعلى ، وسلطان اقوى وهذه القوة العليا صاحبة السلطان الأقوى عندى والمسلمين جميعا هى قوة الله رب العالمين ، صاحب اللطف والمنة .

يقول الامام الماوردى : " كان من رأفته بخلقه وتفضله على عباده أن اقدرهم على ما كلفهم ورفع الحرج عنهم فيما تعبدهم ليكونوا مع ما قد أعد لهم ناهضين بفعل الطاعات ، ومجانبة المعاصى . قال تعالى " لا يكلف الله نفسا الا وسعها " (١) وقال " وما جعل عليكم فى الدين من حرج " (٢) وجعل ما كلفهم به ثلاثة أقسام :

١- قسما أمرهم باعتقاده .

٢- قسما أمرهم بفعله .

٣- قسما أمرهم بالكف عنه . أما لماذا ؟

ليكون اختلاف جهات التكليف أبعث على قبوله ، وأعون على فعله ، حكمة منه ولطفا وجعل ما أمرهم باعتقاده - وهو القسم الأول - قسمين :

القسم الأول : قسم الاثبات : وهو اثبات توحيده وصفاته ، واثبات بعثته رسله ، وتصديق محمد ﷺ فيما جاء به .

القسم الثاني : قسم النفي : وهو نفي الصاحبة والولد والحاجة والقبائح أجمع ، وهذان القسمان أول ما كلفه العاقل.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٢) سورة الحج الآية ٧٨.

وجعل ما أمرهم بفعله - وهو القسم الثانى من اقسام ما كلفوا به - ثلاثة أقسام:

١- قسما على أبدانهم كالصلاة والصيام .

٢- قسما على أموالهم : كالزكاة والكفارة .

٣- قسما على أبدانهم وفى أموالهم كالحج والجهاد ليسهل عليهم فعله ، ويخف عنهم أداؤه نظرا منه تعالى لهم وتفضلا منه عليهم .

وجعل ما أمرهم بالكف عنه - وهو القسم الثالث من أقسام ما كلفوا به - ثلاثة أقسام :

١- قسما لأحياء نفوسهم ، وصلاح أبدانهم كنهيه عن القتل ، واكل الخبائث ، وشرب الخمور المؤدية الى فساد العقل وزواله .

٢- قسما لأئتلافهم واصلاح بينهم كنهيه عن الغضب ، والغلبة والظلم والسرف المفضى الى القطيعة والبغضاء .

٣- قسما لحفظ أنسابهم ، وتعظيم محارمهم ، كنهيه عن الزنا ونكاح ذوات المحارم ، فكانت نعمته فيما حظره علينا كنعمته فيما أباحه لنا وتفضله فيما كفنا عنه كتفضله فيما أمرنا به (١) وبعد أن عرض وجهة نظره انتهى الى كمال الدين ، ودقة شرع رب العالمين يقول : " فهل يجد العاقل فى رويته مساغا أن يقصر فيما أمر به ، وهو نعمة عليه ، أو يرى فسحة فى ارتكاب ما نهى عنه وهو تفضل منه عليه ؟ وهل يكون من أنعم عليه بنعمة فأهملها مع شدة فاقته اليها إلا مذموما فى العقل ، مع ما جاء من وعيد الشرع(٢) فما هو الدين فى الاصطلاح .

---

(١) الامام الماوردى - أدب الدنيا والدين باب أدب الدين صـ٧٠-٧١.

(٢) المصدر السابق صـ٧٢

ب : الدين فى الاصطلاح

الدين عماد لا تقوم حياة الا عليه ولا تنهض اخرة الا له . من ثم فإن الدين لفظ ومعنى يغوص فى أعماق المتدين حتى يملك عليه حياته كلها . بل ويملأ كيانه من أوله الى أخره بما فى ذلك حركاته وسكناته بحيث تكون كلها حول هذا المعنى تحيطه بقدسيته الخاصة به . وتمنع العابثين من الوصول اليه . والمطالع للذكر الحكيم يلمس هذا بوضوح وعناية .

فمثلا : قوله تعالى " لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم " (١)

وقوله تعالى : " من كفر بالله من بعد إيمانه إلا مَن اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم"(٢) .

ففى الآية الأولى جاء الحديث عن حرية الاعتقاد وعدم الأجبار أو الاكراه لغير المسلم على الدخول فى دين الاسلام . لأن العقيدة أمر خاص بشئ داخل العقل والقلب والوجدان والاجبار فيها لا يكون الا فى السلوك الناشئ عنها والسلوك فى هذه الحالة لا يمثل صورة واقعية بقدر ما يمثل سلوكا جبريا لا قيمة له فى الناحية العقدية التى لا تكون صحيحة الا إذا بنيت على الحرية المطلقة وعلى هذا جاء النفى والنهى معا . ومن ثم فإن الآية الثانية حددت هذا المعنى وكشفت عن حاجز نفسى كبير يحيط بعقيدة المؤمن . كما أبانت أن لغة الأجبار

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٢) سورة النحل الآية ١٠٦

لا تجدى وأن لسان المقال قد يكون غير موافق لواقع الحال ، وأن المكره على الدخول فى الاسلام والمكره على الخروج منه لا يمثل سلوكهما أيةقيمة يحاسب عليها صاحبها لأنه فى حالتيه فاقد لحرية الارادة التى يتوقف عليها صحيح الايمان من فاسده ، وحقيقة الدين من الهوامش المحيطه به والشكليات التى تجوس أرجاءه ، من ثم كان من معانى قوله تعالى " لا اكراه فى الدين " معنى الطاعة ، فإن ذلك لا يكون فى الحقيقة الا بالاخلاص ، والاخلاص لا يتأتى فيه الأكراه . (١) مع التأكيد على أن الدين الصحيح هو ما نسب لله رب العالمين ، لذلك لم نسمع أن الرسول الكريم أجبر أحدا على الدخول فى الاسلام ، بل على العكس كان يجرى بعض الامتحان لمن يريدون الدخول فيه قال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا اتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** " (٢)

ونظرا لهذه الخاصية التى يتميز بها الدين ، فقد حاول الباحثون - كل فى تخصصه - تقديم تعريف له على ناحية اصطلاحية ، من ثم سأحاول تقديم بعض هذه التعريفات الاصطلاحية على النحو التالى :

---

(١) الراغب الاصفهانى - مفردات غرائب القرآن مادة وى ن صـ١٧٥

(٢) سورة الممتحنة الآية ١٠

١- تعريفات اسلامية :

وردت كثرة من التعريفات الاسلامية للدين غير ان أحصاءها يطول ، وربما استغرق كتابا بأكمله لكن ساعمل على تجميع تلك التعريفات فى مجموعات ، بحيث يكون لكل مجموعة رأس تعريف يعمها بنسبة كبيرة.

التعريف الأول : للامام ابن الجوزى

" الدين ما التزمه الانسان لله عزوجل وحده " ثم نقل تعريفا لغيره فقال " وبعضهم قال : الدين قول إلهى رادع للنفس يقومها ويمنعها من الاسترسال فيما طبعت عليه " (١) ثم يذكر أن الدين فى القرآن الكريم على عشرة أوجه ، غير أن هذه الأوجه التى ذكرها لا تخرج عن ما جاء فى تعريف الدين على ناحية اللغة من ثم فلن نذكرها خشية التكرار ، غير أن تعريف الامام ابن الجوزى للدين على النحو السالف ليس شاملا للعقيدة والشريعة والاخلاق ، لأن تعبيره بالالتزام لا ينطبق الا على العبادة والسلوك ، أما العقيدة فلم يمثلها التعريف ، ومن ثم لم يكن تعريفا جامعا الا اذا كان يقصد بالالتزام الجانب النظرى مع الجانب العملى حينئذ يكون تعريفا مقبولا .

التعريف الثانى : للفيروزابادي

قال رحمه الله : " الدين اسم لجميع ما يتعبد الله به " (٢) وهذا التعريف أقرب الى تعاريف اللغة ، وان كان تعبيره بأن الدين اسم لجميع ما يتعبد الله

(١) الامام ابن الجوزى - منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم - تحقيق / محمد السيد الصفطاوى و د./ فؤاد عبدالمنعم ماجد صـ١١٣.

(٢) الامام الفيروزابارى - بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز جـ٢ صـ٦١٧ وما بعدها ، تحقيق الاستاذ/ محمد على النجار

به ، يفيد جانب العبادة كما هو اتجاه ابن الجوزى ، ولو قال اسم لجميع ما يتعبد الله به ، ويعتقد فيه لكان تعريفا جامعا مانعا .

التعريف الثالث : مشيخة الأزهر ١٩٩٣

لم تغفل مشيخة الأزهر عن مواكبة الأحداث الجارية على الساحة الفكرية ، وانما راحت بمجهود غير متواضع تلاحق الأحداث التى تتفجر كالبراكين ثم تلقى عليها بكوب من الماء ، لكن قد يغنى كوب الماء ، ويطفئ هذه الحمم من باب قد تسبق العرجاء ، إذ كنا ننتظر من الأزهر الشريف ومشيخته سبق الأحداث ، ومطالعة الأفكار العلمية فى بواكيرها حتى إذا صدرت عن مشيخة الأزهر جهود تكون فعالة ومؤثرة ومجهضة للحركات الخارجة قبل أن ينتشر بين الناس خبرها ، ويعلو صوتها ، وتنتشر سمومها ، وهذا ما نأمله ولعل الرجاء يتحقق والأمل يواكبه .

عرضت المشيخة للدين بالتعريف فقال بيانها " المراد بالدين فى الاصطلاح : وضع الهى شرع لاسعاد الناس فى معاشهم ومعادهم ، أى فى دنياهم وآخراهم التى يعودون فيها الى الله (١)

ثم عمد بيان الأزهر الى تعداد أوصاف الدين الاسلامى فقال : " دين الاسلام هو الدين العام الذى لا يخص أقواما بأعيانهم ، والخالد الذى لا تنسخه رسالة أخرى ، فهو خاتمتها الى يوم القيامة " (٢).

---

(١) مشيخة الأزهر الشريف . بيان للناس جـ١ صـ١١٥.

(٢) بيان للناس جـ١ صـ١١٧ ط١٩٩٣

التعريف الرابع : للدكتور / محمد عبدالله دراز

الدين عبارة عن " وضع الهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح فى الحال ، والفلاح فى المآل (١) وهذا التعريف يخص دين الاسلام ، الدين السماوى وحده ولا يتعلق بالدين الوضعى أو ما شابه الوضعى مما يعتقده الناس أو يصدقون فيه ، وان كان تعريفا مقبولا على ناحية اصطلاحية وهو قريب من تعريف بيان الأزهر السابق الاشارة اليه ، وهذا التعريف نسبه الدكتور دراز الى الاسلاميين ثم لخصه بما يمكن اعتباره تعريفا خاصا به فقال : " الدين وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات ، والى الخير فى السلوك والمعاملات "(٢) وهو تعريف متميز مقبول لشموله العقيدة والشريعة والمعاملات .

التعريف الخامس د/ عوض الله حجازى .

عرف الدين فى عرف علماء الأديان بأنه " عبارة عن الخضوع والتذلل لبعض الكائنات والاحتماء بها ، وتقديم القرابين لارضائها سواء أكانت محسوسة كالشمس والقمر والصنم والوثن ، أو كانت غير محسوسة كالارواح الخفية التى كانوا يتقربون اليها ، انه جملة بعض الناس ليسيروا عليها ويعملوا بما فيها ، والدين على هذا هو المذهب والطريقة التى يسير عليها الانسان (٣) هذا عن تعريف الدين عند علماء الاديان فماذا عن تعريفه فى لسان الشرع ؟

(١ ، ٢) الدكتور / محمد عبدالله دراز - الدين صـ٢٩ .

(٣) الدكتور / عوض الله جاد حجازى - مقارنة الأديان بين اليهودية والاسلام صـ٩ ، ١٠ .

الجواب " الدين شرعا هو وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات . والى الخير فى السلوك والمعاملات . او هو وضع الهى يحسن الله تعالى به الى البشر على لسان واحد منهم . لاكسب له فيه ولا صنع . ولايصل اليه بتلق ولاتعلم . وانما هو وحى وتعلم من الله تعلى يلقيه الله الى عبده .

والدين هو جملة التكاليف الشرعية . والمعاملات المالية والسياسية والاخلاقية . التى يوحيها الله جل شأنه الى رسول من رسله الذين يختارهم لتبليغ رسالته وتوصيل تعاليمه وهدايته . وهو الخضوع لله تعالى والتذلل له . والايمان بوحدانية جل شأنه والسجود له جل شأنه . واختصاصاته جل شأنه بهذا السجود فلايسجد المرء الا لله . ولايذبح إلا له . ولايدعو الا إياه (١)

القول الخامس : للدكتور محمود مزروعة

عرف الدين بقوله : الدين هو : " الاعتقاد بوجود ذات لها قوى غيبية بها تتصرف فى الطبيعة والناس حسب مشيئتها وارادتها اعتقادا من شأنه أن يبعث على التوجه اليها بالطاعة والعبادة فى رغبة ورهبة حسب نواميس معينة وقواعد محددة " (٢)

وهذا التعريف كسابقيه يؤكد أن الدين الحق والاعتقاد الصحيح هو الذى يرتكز على معطيات بعينها والتى منها الاعتقاد بوجود ذات . لهذه الذات قوى غير مرئية فى ذاتها ولكنها تدرك فى آثارها . ومع كونها غير مرئية الا أنها تؤثر فى الطبيعة والناس حسب ارادتها الحرة ومشيئتها المطلقة . من غير أن تتمكن قوة أخرى فى الحد من سلطانها لأنها فوق جميع القوى . وما عداها خادم لها . كل ذلك بمقدار ثابت ونسبة معينة .

---

(١) المصدر السابق صـ١٠ ، ١١ .

(٢) الدكتور / محمود محمد مزروعه دارسات فى الملل والنحل جـ١ صـ١٠

التعريف السادس : الاستاذ / محمد قطب

يعرف الدين بأنه الأعتقاد فى الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأنه الذى نظم للكائنات حياتها وانتظم أمر الخلائق فى إطار من فعله المحكم ، ولذلك كان الدين المنزل من عند الله دائما عقيدة وشريعة فى ذات الوقت " (١) وهذا التعريف ينشد الحديث عن الدين السماوى ، كما يُركز على جوانب الدين من كونها عقيدة وشريعة فى ذات الوقت ما دامت تخص الدين السماوى ، أما الأمر بالنسبة للدين الوضعى فلم يلتفت اليه ويبدو أنه أسقطه من حساباته الفكرية ، وهو رأيه الشخصى.

التعريف السابع : للدكتور صفوت حامد مبارك

حيث يفرق بين نوعين من الدين السماوى والدين الوضعى ، ويؤكد أن القاسم المشترك بينهما هو الإيمان بقوة غيبية ومن ثم يمكن تعريف الدين بأنه ما يحتوى على عنصر الايمان بالغيب (٢)

التعريف الثامن : للدكتور/ أحمد طلعت الغنام

عرف الدين بأنه " العقيدة التى يخضع لها نفسه ، ويؤمن بها سواءا كانت وحيا من سماء أم لا ؟(٣)

---

(١) الأستاذ / محمد قطب – مذاهب فكرية معاصرة صـ١٢ ط دار الشروق ١٤١٤هـ/١٩٩٣م

(٢) الدكتور/ حامد صفوت مبارك – مدخل لدراسة الأديان جـ١ صـ١٠ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣) الدكتور أحمد طلت الغنام – أضواء على النصرانية تاريخها وعقيدتها صـ١٢ مطبعة الفجر الجديد .

وهو تعريف روعى فيه الجانب النظرى من الدين أولا وهو الجانب العقدى لكن هل يقصد بالخضوع والاخضاع الوارد فى التعريف الجانب العملى أم أنه قصد به الدين فى لحظة أقبال المرء على الآخرة ، وليس فى وقته ما يسع الا نطقه بالعقيدة الصحيحة ؟ ان هذا التلمس غير وارد ، وانما عبارة التعريف واضحة فى أنه يشمل الجانب العقدى وحده فى الدين السماوى أو الدين الوضعى ، ومن ثم يمكن اعتباره تعريفا للعقيدة أو للجانب النظرى من الدين وهو قريب الشبه من بعض تعريفات اللغة .

التعريف الذى أميل إليه :

من جماع التعريفات السالفة يمكن تعريف الدين بأنه : الاعتقاد الجازم المطابق للواقع بوجود قوة غيبية لها من الصلاحيات الذاتية ما يجعلها تحكم سيطرتها على كافة ما سواه جل علاه ، وفى ذات الوقت فإن ذات الله تعالى هى المستحقه للعبادة الكاملة من كافة الوجوه .

وان كان هذا التعريف غير منطبق على الدين الوضعى ، فلأننى لا أعتبر الوضعى دينا الا من حيث اللغة ، والا فهو أمر لا اساس له وهو الى النحلة أقرب وعن الملة ابعد ، أما أن يكون دينا فهذا لا أرتضيه الا على سبيل المشاكلة اللفظية

وربما يقال : ان الاسلام فى قرآنه الكريم اعترف بوجود الدين الوضعى فى قوله تعالى " **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين** " (١) فهذا اقرار منه بأنهم على دين وان كان دين شرك وكفر الا انه دين وقد اعترف به القرآن الكريم .

---

(١) سورة الكافرون

والجواب : أن فى هذه الآية الكريمة مشاكلة لفظية (١) قال ابن عباس فى معنى الآية الكريمة " لكم كفركم بالله ولى التوحيد والاخلاص له .

فإن قيل فهل يقال إنه أذن لهم فى الكفر ، قلنا : كلا فإنه عليه السلام ما بعث الا للمنع من الكفر فكيف يأذن به " (٢)

وقد ذكر الامام الفخر فى معنى الآية عدة أمور منها :

أحدها : ان المقصود منه التهديد : كقوله تعالى : اعملوا ما شئتم

ثانيها : كأنه يقول : أنى نبى مبعوث اليكم لأدعوكم الى الحق والنجاة ، فإذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فاتركونى ولا تدعونى الى الشرك"(٣) اذن القرآن الكريم لم يعترف بالدين الوضعى ، وانما جاء الأسلوب القرآنى على سبيل المشاكلة وهو معروف فى لغة العرب .

قال العلامة الصاوى فى حاشيته " إن المراد بالدين - فى قوله تعالى لكم دينكم ولى دين -الجزاء أى لكم جزاء أعمالكم ولى جزاء أعمالى " (٤) ويكون الأمر على حذف المضاف ، فكأنه قال : لكم جزاء دينكم ولى جزاء دينى ، وليس فى هذا أى نوع من الاقرار بالدين الوضعى أو الاعتراف به .

---

(١) المشاكلة : المماثلة وعند أهل البديع : أن يذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ، كقوله تعالى " نسوا الله فنسيهم " المعجم الوجيز باب الشين ص٣٤٩.

(٢) الامام الفخر الرازى - مفاتيح الغيب ج٣٢ المجلد ١٦ ص٧٢١ ط دار الغد العربى.

(٣) المصدر السابق ٧٢١.

(٤) العلامة الشيخ/ أحمد الصاوى المالكى - حاشية الصاوى على تفسير الجلالين المجلد الرابع ص٣٥٩ ط دار الغد.

وعندى أن قول الله تعالى " لكم دينكم ولى دين " فيه إشارة الى أن دينهم الذى به يدينون لا قيمة له ولا أعتراف به ، بدليل أنه ضرب صفحا عنه ، ولم يلتفت اليه ، واذا حكى عنه فإنما لاثبات أن تدينهم مجرد اسم لاقيمة له من ناحية الحقيقة الاصطلاحية او العرف السليم وإنما هو أمر خارج عن الجميع من ثم فلم يلتفت اليه .

ولعل هذا مما نستأنس له بقوله تعالى " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم"(١) قال صاحبا تفسير الجلالين " أم لهم شركاء ، أى بل لكفار مكة شركاوهم شياطينهم شرعوا لهم الدين الفاسد مالم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث ولولا كلمة الفصل أى القضاء السابق بأن الجزاء فى يوم القيامة لقضى بينهم وبين المؤمنين بالتعذيب لهم فى الدنيا ، وإن الظالمين الكافرين لهم عذاب اليم " (٢)

وقال الامام الجمل : " هل لهم آلهة شرعوا لهم الشرك الذى لم يأذن به الله واذا استحال هذا فالله لم يشرع الشرك فمن أين يتدينون به" (٣) إذن جاءت لفظة الدين مشترك لفظى حيث شرع الشركاء الضالون لعبدة الأصنام المضللين دينا فاسدا لا يقوم على شئ صحيح ، ولا ينهض معه قول صادق .

---

(١) سورة الشورى الآية ٢١

(٢) تفسير الجلالين بحاشية الجمل المجلد ٤ صـ٦٠.

(٣) الفتوحات الالهيه بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للامام الجمل المجلد ٤ صـ٦٠ ط دار المنار

قال الامام النيسابورى فى أسباب نزول سورة الكافرون أنها " نزلت فى رهط من قريش قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك . تعبد الهتنا سنة ، ونعبد الهك سنة فإن كان الذى جئت به خيرا مما بأيدينا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذى بأيدينا خيرا مما فى يدك قد شركت فى أمرنا وأخذت بحظك ، فقال : معاذ الله أن أشرك به غيره . فأنزل الله تعالى : قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله ﷺ الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك " (١) إذن القرآن الكريم لم يقر بالدين الوضعى ، ولم يعترف الا بالدين الالهى وهو الدين الصحيح الذى عليه يلقى الناس رب العالمين وهو دين الاسلام ، الذى قال الله فيه " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين"(٢) فماذا عن تعريف الدين عند غير المسلمين ؟

ب- تعريفات غير اسلامية

سلف الحديث عن بعض التعريفات الاصطلاحية للدين على ناحية اسلامية ، والآن ننتقل بالحديث الى تعريف الدين عند غير المسلمين ، وسأكتفى بما نقله المرحوم الدكتور/ دراز ثم أعلق على كل تعريف منها أرى التعليق يقدم جديدا وهى فى مجملها تعريفات تمثل نزعات فردية أو آراء لأصحابها ، تعبر عن وجهات نظرلهم فى الدين أو التدين فقط ، لذا سأحاول نقلها عن مصدرها الذى تعرض اليها على النحو التالى :

(١) الامام الواحدى - أسباب النزول وبهامشه الناسخ المنسوخ صـ٣٤٤،٣٤٣ مطبعة النور الاسلامية .

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥.

١- تعريف سيسرون

عرف سيسرون الدين تعريفا على ناحية يراها هو فيقول :

" الدين هو الرباط الذى يصل الانسان بالله " (١) وهذا تعريف مقبول على ناحية ما ألا وهى الناحية الفلسفية ، لأن سيسرون كان حكيما وفيلسوفا ولم يكن واحدا من علماء الأديان ، من ثم فإن هذا التعريف يمثل حالة وجدانية راقية ، من حيث هى رباط محدد يقوى علاقة الانسان بربه ، ويجعله دائما فى دور حى يقظ ينمو باستمرار ، ولكن على ناحية وجدانية فيها الكثير من الغموض الفلسفى .

٢- تعريف كانت

" الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر الهية " (٢) وهذا القيد الأخير من حيث كونها قائمة على أوامر الهية لا يدخل فيه الا جانب واحد هو المأمورات أما النواهى والغيبيات التى لا صلة للمرء حيالها فلم يلتفت اليها كانت cant ويبدو أن هذا من تاثير المسيحية عليه.

٣- تعريف أرنست شلاير ماخر

" الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة " (٣) وهذا تعريف فيه معنى المنفعة اذ لولا الشعور بالحاجة والانسياق خلفها لما كان هناك دين ، ومن ثم

---

(١) الدكتور / دراز الدين صـ٢٩ وذكر أن هذا التعريف قد استقاه من كتاب القوانين لسيسرون

(١) الدكتور / دراز الدين صـ٢٩ والتعريف فى كتاب - الدين فى حدود العقل.

(٢) المصدر السابق صـ٢٩ وهو فى كتاب مقالات عن الديانة لشلايرماخر.

يشترك فيه القوة المادية التى يرى الضعفاء فى أنفسهم شعورا بالحاجة اليها وعدم الرغبة فى الاستقلال عنها ، وهذا لا يمثل الدين بقدر ما يمثل اشباع الرغبة فى النفس أيا كانت تلك الرغبة ولو قال لقوة الهية لكان تعريفا مقبولا .

٤- تعريف الأب شاتل

" الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق ، واجبات الانسان نحو الله ، وواجباته نحو الجماعة وواجباته نحو نفسه " (١) وهذا تعريف عام لكنه أقرب الى تعريف فلاسفة الدين من تعريف الدين نفسه والمعروف أن الدين أسبق من الفلسفة .. وأن هذه حقيقة لا يمارى فيها أحد إذ تثبتها دراسة الحضارات القديمة ، ودراسة الشعوب البدائية " (٢) فإذا ما جاءت تعريفات الدين بصورة الفلسفة الجافة فلا شك أنه يعتبر تعريفا فلسفيا للدين وليس تعريفا دينيا له ، ومن ثم لا يكون تعريفا مقبولا .

٥- تعريف تايلور

" الدين هو الايمان بكائنات روحية " (٣)

ويبدو أن تعريف تايلور كان يمثل حالة فى داخل نفسه لأن الكائنات الروحية التى يرى الدين منحصرا فى الايمان بها تخضع فى النهاية لقوة عليا هى القوة الالهية ، ولو قال الايمان بكائنات غيبية ربما كان قريبا من منطقة الاقتراب من التعريف ولذا عقب الدكتور دراز فقال : " شريطة أن نأخذ كلمة

---

(١) المصدر نفسه والتعريف فى كتاب قانون الانسان للأب شاتل

(٢) فؤاد كامل - مدخل فلسفة الدين صـ١٥.

(٣) المصدر السابق وهو من كتاب المونيات البدائية لتايلور

الروح هنا باوسع معانيها فلا نحدد طبيعتها ، ولا مدى سلطانها ، ولا طريقة تصرفها ... وتقول انها قوة خفية شاعرة مدبرة وأن أفعالها تصدر عنها بمحض ارادتها.

٦- تعريف ماكس مبلر

" الدين هو محاولة تصور مالا يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع الى اللانهائي ، هو حب الله " (١) وعلق الدكتور دراز على هذاالتعريف قائلا : ان تعريف ماكس مبلر كان اشد تضيقا لهذه الدائرة حين قال أن الدين هو محاولة تصور مالا يمكن تصوره ، فهذه العبارة لا تنطبق في حرفيتها الا على نوع من الأديان يفصل بين العقيدة والعقل فصلا تاما ويفرض على معتنقيه أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم ولا تتصوره أذهانهم (٢) وكيف يتأتى لعاقل أن يؤمن بمالا يعرفه عقله ، أو يستدل عليه بآثاره ومن أبسطها العقل نفسه إن مثل هذا التعريف يجعل الدين أمرا خرافيا غير معقول ولا مقبول ، وهو على هذه الناحية مرفوض لأن العقول السليمة ، والفطر النقية تؤمن بوجود الله وتستدل عليه.

٧- تعريف اميل برنوف

" الدين هو العبادة ، والعبادة عمل مزدوج ، فهي عمل عقلي به يعترف الانسان بقوة سامية ، وعمل قلبي أو انعطاف محبة ، يتوجه به الى رحمة القوة"(٣).

---

(١) المصدر نفسه وهو من كتاب نشأة الدين . لماكس مبلر

(٢) الدكتور/ محمد عبدالله درازالدين صـ٣٣

(٣) هذا التعريف استقاه الدكتور دراز من كتاب علم الديانات الفصل السادس صـ١١

الملاحظ أن تعريف برنوف للدين لم يتناول سوى جانب العبادة للقوة السامية التى تتحكم فى القوة ومن ثم فلا يصلح هذا التعريف حتى يكون منطبقا على الدين بقدر ما يصلح لانطباقه على عبادة القوة التى تنطوى فيها المحبة والرحمة بقدر سواء والخوف والقلق والرجاء بدرجة واحدة وهى من التعريفات التى لا تعترف بالألوهية وانما تسير فى فلك تحييد فكرة الألوهية ومحاولة اخراجها من حيز الدين .

٨- تعريف ريفيل

" الدين هو توجيه الانسان سلوكه وفقا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها " (١) وهذا تعريف للدين الوضعى ليس الا لأن قضية الألوهية لا مكان لها فيه كما أن الروح الخفية تعبير فضفاض يثير الكثير من الجدل والوساوس لأن عالم ما وراء الطبيعة غير محسوس ، وعالم الأرواح فيه من الغيبيات الكثير و " العقل البشرى عاجز عن ادراك الحقائق الدينية الغيبية بمفرده ولذلك كانت الأديان الوضعية - وهى لا تعتمد على الوحى بل على العقل فقط - أديانا غير معصومة من الخطأ لأن العقل الذى تعتمد عليه غير معصوم من الخطأ " (٢) كما أن مسأله توجيه الانسان شعوره مسألة نسبية خاصة بالشعور المتوجه وليس لهذا الشعور ضابط محدد ، ومن ثم لا يمكن قبول تعريف ريفيل .

---

(١) له كتاب مقدمة تاريخ الأديان د./دراز الدين ص٣١.

(٢) الدكتور / صفوت مبارك - مدخل لدراسة الأديان ص١٣ مطبعة الفجالة الجديدة ١٩٨٧.

٩- تعريف ميشيل مايير

" الدين هو جملة العقائد والوصايا التى يجب أن توجهنا فى سلوكنا مع الله ومع الناس ، وفى حق أنفسنا " (١) ويبدو أن هذا التعريف أكمل من غيره لأنه ركز على الجانب النظرى والجانب العملى من الدين الا أنه لم يهتم بما أنزله الله وحيا على ألسنة رسله ، وان لم ينكر ذلك لكنه على كل حال لم يضعه فى حسبانه ، كما لم يذكر أمر الغيب ، وكان يحسن به أن يفعل .

١٠- تعريف سلفان بيريسيه

" الدين هو الجانب المثالى فى الحياة الانسانية (٢) ولعل هذه الفكرة التى طافت ارجاء فكر بيريسيه قريبة الشبه من الفكرة العامة عند البدائيين عن الاله وأنه قديم وأنه بعيد عن الناس ولا أهمية كبيرة له فى تصريف شئون الحياة الجارية " (٣) ومع هذا فالجانب المثالى فى الحياة الانسانية قائم على النسبية اذ هناك مثالية فى الفكر ، وأخرى فى الأدب ، وثالثة فى الحياة العامة ، ورابعة فى السلوك الأنسانى فأى مثالية يقصدها ؟! والجواب أنه لاتوجد اجابة واضحة توضح المقصود .

١١- تعريف سالومون ريناك

" الدين هو مجموعة التورعات التى تقف حاجزا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا " (٤) .

---

(١) من كتابه تعاليم خلقة ودينية د./ دراز الدين ص٣١.

(٢) لفان بيريسه - العلم والديانان الفصل الأول جـ١ نقلا عن الدين ص٣١

(٣) هوبير ديشان - الديانات فى أفريقيا السوداء ص٤٨

(٤) سالومون ريناك - التاريخ العام للديانات ص٤ نقلا عن د./ دراز ص٣١.

وقد انتقد الدكتور دراز هذا التعريف وأمثاله بأنهم " لايكتفون بحذف فكرة الاله الخالق اللانهائى الذى يحيط به التصور من التعريف الجامع للأديان . بل يذهبون الى وجوب ابعاد أصل فكرة الألوهية بكل معانيها من هذا التعريف محتجين بأنه فى الشرق أديانا مثل البوذية والجانيية والكونفوشيوسية تقوم على اساس اخلاقى بحت خال من تأليه كائن ما (١) ولكن هذه الحجة لاتقوم الا على الدين الوضعى أما الدين السماوى فلاشك أنه مقر بوجود الكائن الاسمى الاله القادر الخالق العظيم المستغنى عن الجميع وهو الله رب العالمين .

١٢- تعريف هنرى لنك

عرف هنرى لنك الدين بأنه الايمان بوجود قوة ما كمصدر للحياه هذه القوة هى قوة الله ، مدير الكون ، خالق السماوات وهو الاقتناع بالدستور الخلقى الالهى الذى سنه الله فى كتبه المتعاقبة ، واعتبار التعاليم السماوية أثمن كنز تغترف منه الحقائق الدينية (٢) وفرق بين ايمانه بالله وصفاه القدرة ، وبين الايمان بقدرة الله وحدها ، والامر ظاهر.

١٣- تعريف إيميل دروكايم

" الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة أى المعزولة المحرمة " اعتقادات واعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية تسمى الملة (٣) غير أن تعريف دوركايم انما يمثل وجهة نظر اجتماعية فى مسألة

---

(١) الدكتور / محمد عبدالله دراز - الدين ص٣٤

(٢) هنرى لنك - العودة الى الايمان ص٢٥ ترجمة الدكتور ثروت عكاشة الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٦ .

(٣) الصور اللهبة للحياة الدينية ص٦٥ .

دينية ، وهو أمر غير مقبول وأبسط الأدلة أن هذا التعريف حذفت منه فكرة الألوهية حذفا تاما بحيث يمكن القول أن هذا التعريف ينطبق على الدين الوضعي ليس الا ، ومن هنا كان غير مقبول كما أنه خلط بين الدين والملة .

١٤- تعريف جويوه

حيث يقرر أن " الديانة هي تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الانسانية والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركزها الانسان البدائي في الكون (١) وهو بهذا يعرف الديانة ولايعرف الدين والفرق بين الأمرين كبير، لأن الدين ما يتدين به ، أما الديانة فهي وصف لمن يمارس الدين ، ولذا يقال : دان بكذا ديانة فهو دين ، وتدين به فهو متدين " (٢) على أن هناك نقدا عاما يمكن توجيهه الى التعريفات الغير اسلامية للدين ، يقوم على أن هذه التعريفات كلها انما تمثل صورة الدين في المذاهب الفلسفية والأخلاقية اذا ضممنا أليها القوانين الوضعية ، وكون كل هذه التعريفات من تصورات البشر التي لاتعتمد على شرع الهي أو تستند الى سند معصوم فإنها لاتقبل شرعا .

ومثل هذه التعريفات يمكن ادخالها تحت القاعدة العامة عندنا ، وهي " أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود " (٣) وهذه التعريفات من هذا القبيل فلا يكون قبولها أو الأخذ بها على ناحية مقبولة مع ملاحظة أن هذه التعريفات

---

(١) لادينية المستقبل صـ٣١

(٢) مختار الصحاح مادة ، دي ن صـ٢٢٨

(٣) الامام الحافظ ابن رجب الحنبلي - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم صـ٧٧ ط دار الحديث

تخلو من دعامتين يقوم عليها الدين ، بحيث اذا ذكرت تلك التعاريف جنبا تراها قد اغفلت الأخر . لأن المعلوم هو أن " الدين عامة يقوم على دعامتين اساسيتين هما العقيدة والشريعة ، وقد يطلق على العقيدة اسم الإيمان ، وعلى الشريعة اسم الإسلام ، والعقيدة عمل القلب والشريعة عمل الجوارح (١) .

على أن الذى يجب الاهتمام به والتنبيه له ، هو أن هذه التعريفات ربما صلحت كافكار فلسفية أو أخلاقية أو اجتماعية ، وليست هذه من الدين بمكان ، فلنضرب صفحا عن تعريفاتها والتفريعات التى تلحق بها أو تنشأ عنها .

تعريف الدين بأعتبار آخر

أ- الدين بأعتبارة حالة نفسية مساوية للتدين .

عرفه الدكتور دراز بقوله : " الدين هو أعتقاد بوجود ذات وزوات غيبية علوية لها شعور واختيار ، ولها تعرف وتدبير للشئون التى تعنى الانسان أعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاه تلك الذات السامية فى رغبة ورهبة وفى خضوع وتمجيد (٢) .

ثم يلخص هذا التعريف فى عبارة موجزة مؤكدا أن الدين هو الإيمان بذات الهية ، جديرة بالطاعة والعبادة (٣) وهذا التعريف ملاحظ فيه الحالة النفسية للمتدين بمعنى مراقبة الحالة النفسية للمتدين والحكم عليها . ولا أظن الحالة

---

(١) بيان للناس من الأزهر الشريف ط أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م صـ١١٧

(٢) الدكتور / محمد عبدالله دراز الدين صـ٤٩.

(٣) المصدر السابق صـ٤٩.

النفسية وحدها كافية ، أو هذا الجانب وحده يكفى ، وإنما لابد من أضافة الحقيقة الخارجية للحالة النفسية .

لأن الدين تمثله العقيدة فى الجانب النظرى " والعقيدة لها أثرها فى النفس فهى قوه تدفع الى العمل ، ورقيب يساعد على الاتقان والاجادة ، ودليل يهدى من الضلالة ، ويقى من الزلل " (١) ومن ثم فالدين ليس حالة نفسية فقط ، وأنما إلى جانبها حياة كاملة ، لأن الحالة النفسية -أى حالة نفسية -قابلة للتبدل باعتبارها طوارئ للنفسى تحدث وتزول وليست ثوابت ومثلها الفرح والحزن فالنفس تكون فى حالة فرحة ، وفى أخرى تكون حزنة ولا يمكن أن تكون فرحة حزنة فى وقت واحد على جهه واحدة : وبالتالى فالدين ليس حالة نفسية وأنما هوشعور فياض داخل القلب يدفع صاحبه الى الاعتقاد بوجود الله والايمان برسله ، والتصديق باليوم الأخر.

ب- الدين بأعتباره حقيقة خارجية .

رأى الدكتور دراز أن الدين حقيقة خارجية يمكن تعريفه بأنه " جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات تلك القوة الالهية ، وجملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتها (٢) وهذا التعريف أقرب الى التعاريف الفلسفية منه الى التعاريف الدينية ، لأن التعبير بجملة النواميس النظرية فيه من العموم الكثير، ولو قال بأنه جملة الكتب المنزلة من عند الله لتُحدد صفاتِه وتُعَرِّف بذاته، وتدفع الناس الى الأيمان به ، وتقودهم لما فيه صالحهم فى الدنيا والأخرة

---

(١) بيان للناس حـ١ صـ١٣٠.

(٢) الدكتور. محمد عبدالله دراز الدين صـ٥٠ .

لكان أفضل من التعريف السابق شريطة أن يضاف إلى ماسلف ذكره أن المبلغين بها هم أنبياء الله ، هداة الخلق الى الحق .

من ثم فإن الدين فى جانبه النظرى يمثل العقيدة الغيبية التى ينشأ عنها الضمير الدينى ، ومن ثم يتولد عن الضمير الدينى " الشعور بسلطة الرقابة الألهية. وهذا الشعور أنجع وأشد فعالية وتأثيرا من مجرد الشعور بسلطة العرف أو العواطف أو القانون (١) أما لماذا ؟ فلانه ناتج عن شعور دينى وضمير دينى وبالتالى فالرقابة هنا ذاتية من داخل الشخص نفسه ، يغذيها أصل النشأة وأنها قائمة على الدين الحق والاعتقاد الصحيح فى الدين نفسه .

جـ- تعريف الدين فى المسيحية الشرقية

عرف الانباغريغوريوس - أسقف عام الثقافة القبطية بالكنيسة الشرقية - الدين بأنه " مجموعة المبادئ التى يرتبط بها جمع من البشر بالنظر والعمل ، بالفكر والقلب والسلوك ، ثابتة فى كيان الانسان ، فى العقل والوجدان ، ويتحرك بها وينزع اليها ، وهى كنزه الثمين المودع فى روحه منذ الخلق ، ومنذ ابتداء الوجود (٢) وهذا التعريف رغم طوله وميله الى الناحية الخطابية الا أنه خلط بين الفكر والسلوك وجعلهما أمرا واحدا ثم بين ان للدين تعريفين أحدهما فى لغة العرب ، والثانى فى اللغات الأوربية وبين أن " الدين فى لغة العرب ، هو دين الانسان وهو العبد ، نحو السيد الربُ الخالق السرمد والسرمدى وهو ايضا مايقرب العبد المخلوق ويدنيه الى خالقه المعبود .

---

(١) الدكتور صفوت حامد مبارك - مدخل لدراسة الأديان صـ١٠ .

(٢) الانباغريغوريوس - روح الدين جريدة الجمهورية المصرية ٢٢ يولية ١٩٩٦م صـ٩ عمود١

أما فى اللغات الأوربية مثلا . فالديانة أو الدين تسمى Religion وهى مجموعة الروابط التى تربط الانسان بالله خالقه . كما أنها تربطه بالناس فى معاملاته معهم (١) وهى وجهة نظره ونحن نراها غير مقبولة . مالم يقصد بها الدين السماوى ودين الاسلام . الذى جاء به خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ .

كما عرف الديانة بأنها " مجموعة العقائد التى انعقدت عليها نفسه وارتبطت بها روحه . فلا ينفك عنها وان اختلفت درجة فهمه لها وايمانه بها ورسوخه فيها . وهى عناصر اساسية تجمع فى الوقت نفسه بينه وبين الناس فى المجتمع الذى يعيشه ويحياه بينهم وان اختلفت درجة اطمئنانه اليها من واحد الى آخر " (٢) ويبدو أنه قصد الديانة فى المسيحية التى تقوم على عقائد تقع بين الخمس أو السبع . وبالتالى فقد استخدم لفظ مجموعة العقائد كما أنه خلط بين مفهوم الديانة فى الفكر الوضعى والفلسفة والاخلاق . بينما المقصود الديانة فى علم الاديان المقارن . من ثم وجدناه يقدم للديانة عدة تعريفات كنوع من معالجة المسألة على نحو آخر . واليك بعض هذه التعريفات .

١- الديانة " عمليا قوانين شرعية يلتزم بها جمع من الناس . قوانين نجدها فى بيئته . ليست من خلقه هو . مثلها مثل اللغة التى يتلقنها الطفل من والديه . ويتعامل بها مع أمه وأبيه وأسرته فى طفولته ثم مع سائر مواطنيه عندما يكبر (٣) ولاشك أن هذا ينطبق على الديانة السلوكية فقط التى يتمثلها

---

(١) المصدر السابق صـ٩ عمود ١ .

(٢) المصدر السابق صـ٩ .

(٣) المصدر السابق صـ٩ عمود ١ .

الانسان فى والديه والمحيطين به من مثله العليا التى يكن لها الاحترام . ولاينطبق هذا على الديانة السماوية وضرب المثل للديانة باللغة لاوجه يجمع بينهما لان الديانة تجعل المتدين يلتزم حقوقا ويقوم بواجبات والفيصل شرع الله المعصوم ليس الا .

٢- الديانة : " مجموعة العقائد والمبادئ والمواصفات التى يرتبط بها الانسان ، كل انسان ، وهى التى تلهم سلوكياته وأخلاقياته ومعاملاته " وهذا التعريف أشبه ما يكون بالتعاريف الاستطرادية ، وما أشبهه بتذكرة العلاج التى يكتبها طبيب ناشئ لمريض عز عليه معرفة دائه ، فتراه يحشوها بالمضادات الحيوية ، ومجموعة الفيتامينات ولامانع لديه من اضافة بعض الكريمات والمراهم أملا أن يبرأ المريض بهذه التوليفة كلها رغم أن هذا الكوكتيل ربما يضرب بعضه بعضا ، أما لماذا ؟

فلأن العقائد غير المبادئ ، غير المواصفات ، وكل منها له دلالة محددة . ثم أنها جميعا يراها مرتبطة بمريض واحد هو الانسان الذى صاغها ويعالج بها لامكان ليد عليا أو قوة قاهرة ، إنها مسألة متعلقة بالانسان مبدأ ونهاية ولاشئ غير الانسان ولعله كان ينقل آراء غيره . ولضيق الوقت لم يراجع ما كتبت يداه فللرجل باع واسع ، ذراع طويل فى هذا المضمار أو أن أحد تلاميذه نسبها اليه وما أظنه كان يسكت عنها . ولذا نراه يتحدث عن تعاريف الديانة دون أن يرجح أى تعريف مما ذكره يعتد به :

ثم يقدم وجهة نظره فى ان الديانة تشتمل على العبادات ثم المعاملات وأنه المعنى الاشتقاقى لكلمة الدين أو الديانة وان المعنى الاصطلاحي هو العبادات والمعاملات " وهو بهذا يجعل الدين والديانة أمرا واحدا وفى ذات الوقت قدم

تعريفات لكل من الدين والديانة مما يجعل المرء فى حيرة من أمره ربما يكشف عن هذه الحيرة وأسبابها ماسوف تأتى به الايام . أو يعلنه الانباغريفوريوس نفسه :

- ثم تحدث عن جوانب الديانة وراها جانبين .

أحدهما : مجموعة الروابط التى تربط الانسان بخالقه وموجده وهو الله باسط السموات والارض ، وجابل روح الانسان فى داخله .

ثانيهما : الجانب الاخر - هو المعاملات بين الانسان والاغيار من البشر وسائر الموجودات والخلائق من الحيوانات والنباتات والجمادات وعلى ذلك فللديانة نوعان من الروابط . نوع منها يربط الانسان بخالقه هو العبادات والنوع الثانى : يربط الانسان بغيره من الكائنات وهو المعاملات (١) وهو بهذا يرى الديانة بديلا عن الدين واعم منه ولسنا معه .

---

(١) المصدر نفسه صـ٩ عمود ٢٠١ .

المبحث الثالث

تصنيف الاديان

تمهيد

سبق القول بأن التدين فطرة إنسانية ، وضرورة إجتماعية ، وعلاج نفسى ، وأمن إجتماعى ، وربما تسأل لماذا ؟ والجواب " أن الانسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها بشئ لا يقع عليه سمعه ، ولابصره ، ولا يوضع فى يده ولا عنقه ، ولا يجرى فى دمه ولا يُرى فى عضلاته وأعضائه ، وإنما هو معنى إنسانى روحى إسمه الفكرة والعقيدة (١) الدينية .

وهذه العقيدة الدينية أنواع :-

١- قد تكون فطرية .

باعتبار أن الدين غريزة فطرية فى الانسان ، وعامة بين سائر البشر جميعا ، وربما يستشهد لها بقوله تعالىٰ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم " (٢) وعرفت باسم الدين الفطرى الطبيعى . (٣)

٢- قد تكون وضعية

باعتبار أن الذى وضعها هم البشر ، وأنها عبارة عن مجموعة من المبادئ والقوانين العامة وضعها بعض الناس المستنيرين لأمهم ليسيروا عليها ويعملوا بما فيها (٤) وهى غير الفطرية ، لأن الفطرية ينقاد صاحبها إليها من داخل فطرته السليمة وضميره الحى . فلا يدفعه إليها قانون ، ولا يقوده نحوها عقد إجتماعى ، إنما ينقاد هو لسلطان من داخله فى محاولة لا شباع فراغ دينى لا يجد حيلة لاشباعه الا الانقياد الفطرى لذلك الدين . "

١- الدكتور / محمد بن الشريف - الاديان فى القرآن صـ٣١ دار المعارف ١٩٨٠

٢- سورة الروم الآية ٣٠

٣- الدكتور / محمد عبدالغنى شامة - بحوث فى علم الأديان المقارن صـ٥٢ ط المدنى ١٩٧٢

٤- الدكتور / عوض الله جاد حجازى - مقارنة الأديان اليهودية والإسلام صـ١٨ ط ٤ دار الطباعة المحمدية ١٩٩٣ م .

٣- قد تكون الهية .

وهى العقيدة الصحيحة شرعا ، الناجية بأصحابها عرفا ، القابلة للغلبة عند المنازعة عقلا ، أما لماذا ؟ فلأنها الدين الذى نزل من عند الله تبارك وتعالى على أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن خصائص هذا الدين أنه من صنع الله وحده فلا يد لانسان فيه أياكان ذلك الأنسان ، حتى الأنبياء والرسل أنفسهم لا دخل لهم فى موضوع الدين المنزل عليهم ، فكل ما يأتى به النبى إنما هو من عند الله تبارك وتعالى ، يتولى - النبى - تبليغه للناس (١) عن ربه وعلى هذا التصنيف قامت دراسة مقارنة الاديان ، باعتبار العقيدة الدينية الناشئة عن مصدر ما ، ويتولد عنها سلوك معين وفى ذات الوقت تنقلها نصوص محددة أو شعائر يمكن النظر فيها والحكم عليها .

لأنه إذا كانت العقيدة الدينية التى قام عليها الدين مصدرها القانون الوضعى فإنه من السهل الحكم على هذا القانون ، وتلك العقيدة متى نظرنا إلى جملة المبادئ والقوانين والتعديلات التى أضيفت إليها أو أدخلت عليها كالحال مع البوذية والهندوكية ، والمانوية ، والمزدكية والديصانية بل والشيوعية متى أعتبرت عقيدة دينية وليست نظرة إجتماعية أو اقتصادية . فإن هذه المبادئ وتلك القوانين التى صاغها مفكرون وقادوا الناس إليها حتى صارت لهم عقيدة يحكم عليها بأنها عقيدة وضعية ، ودين وضعى كما يحكم عليها بأنها دين أرضى ، فى مقابلة الدين السماوى الالهى .

---

(١) الدكتور / محمود محمد مزروعة - دراسات فى الملل والنحل جـ١ صـ١٠ ط العاصمة ١٩٧١ م

كما أنك إذا نظرت إلى العقيدة الدينية التى قام عليها الدين الحق ، فإنك حتما سترى مصدر هذه العقيدة عاليا عن كل المخلوقين ، إنه لا يحتاج إلى تعديل أو إضافة أو حذف ، إنه تنزيل سماوى وتركيب قدسى ، غير قابل للاهتزاز أو المعالجة ، لأنه جاء ليعالج العلل فلا تكون به علة ، وجاء للأصلاح فلا يكون به عيب ، وجاء لأمور الدين والدنيا ، فلا يكون به خلل ، ولذا ترى هذا المصدر السماوى قد جاء محفوظا محفوفا بأنواع العناية .

حيث يأتى به الوحى الأمين ، إلى من إصطفاه الله من الناس أجمعين ، ويظل الوحى يعالج مع النبى أمر الدين فيلقنه له - إن كانت نصوصه مطلوب تلقينها وحفظ حروفها وكلماتها - كالحال مع القرآن الكريم ، وقد يتولى الوحى توجيه النبى مباشرة فى سلوكه طبقا لأوامر الله له ، حتى يكون النبى بين قومه وحيا ينطق بتعاليم الله ، وهديا يطبق شرع الله ، ونورا يراه الناس مظهرا لارسال الله إياه ، وهذا خاص بالعقيدة الصحيحة العقيدة الالهية التى تعرف بالدين السماوى وحده .

تصنيف الاديان

صنف علماء المقارنه الأديان من حيثيات عدة ، كل حيثية منها يرون لها أمرا مقبولا .

١- فمرة يصنف الدين باعتبار مصدره .

٢- ومرة يصنف الدين باعتبار القائمين به .

٣- ومرة يصنف باعتبار تعاليمه .

٤- ومرة يصنف باعتبار بقائه من عدمه .

٥- ومرة يصنف باعتبار قابليته للمرونة والتعديل ، أو ثباته على وضع قائم .

٦- ومرة يصنف باعتبار شعائره .

٧- ومرة يصنف باعتبار وفائه بالمقتضيات والمستجدات .

إلى آخر هذه التصنيفات التى تخرجها المطابع من حين لأخر على أنها بنات فكر علماء المقارنة فى أوربا ، أو رجال المقابلة فى أمريكا ، أو علماء الأديان فى المانيا ، وكلها تصنيفات فرعية لأصول قائمة وجدت فى مؤلفات علماء المسلمين ، قديما وحديثا، والزيادة والاضافة التى يذكرونها الا تفريعات ترد إلى أمرين لا ثالث لهما .

الأمر الأول : الدين السماوى

الأمر الثانى : الدين الوضعى .

وطبقا لهذا التصنيف سيكون حديثنا عن الدين السماوى والدين الوضعى أو الدين الالهى والدين الارضى فما هو الدين الالهى اذن ؟

أ- الدين الإلهي

وهو الدين الموحى به من عند الله تعالى (١) ولذلك فهو دين إلهى باعتبار مصدره ، ويقال عليه دين سماوى لأنه من جهة عالية من جهة السماء حيث مهبط الوحى ، وذلك فى مقابلة الدين الارضى لأنه من الجهة السفلى الارضية ، أنه من وضع البشر.

وهذا الدين الالهى له تعريفات وخصائص وسمات تجعل الفوارق بينه وبين غيره كبيرة كالفارق بين السماء والارض ، والفارق بين الدين الذى شرعه الله الخالق بماله من جلال وكمال وإكرام ، وبين القوانين التى يفرضها المخلوق

---

(١) الدكتور / محمد كمال جعفر - الإسلام بين الأديان صـ٤٠ مكتبة دار العلوم ١٩٧٧ م .

التناقض بما فيها من نقائص لا تجبر، ثم يفرضها على الآخرين للالتزام بها وتطبيقها.. فما هي تعريفات الدين الإلهي ؟؟

<u>أولاً</u> :- تعريف الدين الإلهي :-

عرف الدين الإلهي بتعريفات منها :

١- تعريف الإمام محمد عبده الدين : وضع إلهي يحسن الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه، ولا يصل إليه بتلق ولا تعلم((١١)) " إن هو الا وحى يوحى " ((١٢)) ولذلك فهو دين إلهي، ولو جاء أول تعريفه بأنه شرع إلهي لكان أولى.. لأن الوضع مشترك لفظي يقع بين المتواضعين في العلوم التي يتناولونها وتصير بالنسبة لهم نوعاً من الاصطلاح الخاص.

٢- تعريف الإمام الأكبر الشيخ / مصطفى عبد الرازق : الدين " وضع إلهي يحسن الله تعالى به الى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه ولا صنع، ولا يصل اليه بتلق ولا تعلم.. وإنما هو وحى وتعلم من الله تعالى يلقيه الله إلى عبده " إن هو الا وحى يوحى " ((١٣))..

والتعريفان من معين واحد والمعنى واحد.. كل ما في الأمر أن التعريف الثاني فيه تفصيل بعد إجمال ويدفع الى القول بمن علم الوحى ؟؟ وكيف تعلم ؟؟ وطرق الوحى إلى آخر هذه التساؤلات التي يلجأ إليها المتشدقون كنوع من الهروب المقنع عن مواجهة القضايا الرئيسة إن كلا التعريفين صواب.

((١١)) الامام محمد عبده - تفسير المنار جـ١٢ صـ٢٦٩..

((١٢)) سورة النجم الآية ٤..

((١٣)) الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر مصطفى عبد الرازق - الدين والوحى والإسلام صـ١١١ ط عيسى الحلبي..

٢- تعريف الدكتور / عوض الله حجازي :-

عرف الدين الألهي بأنه : " تعاليم إلهية من وضع الله تعالى ، وإرشادات سماوية من لدن العليم الخبير بنفوس العباد وطبائعهم وما يحتاجون إليه فى اصلاح حالهم فى المعاش والمعاد والدنيا والأخرة . إنه مجموعة التعاليم والأوامر والنواهي التى يجئ بها رسول من البشر أوحى الله تعالى بها إليه " (١) وهو تعريف واف لكنه طويل ليس من السهل استيعابه بشكل كبير.

وقد يعرف الدين السماوى بأنه الذى يأتى " عن طريق الوحى الألهى ، على يد نبى من الانبياء (٢) والمعروف أن " الاديان السماوية كل ما جاء به الانبياء والرسل من عند الله عزوجل " (٣) هداية لأقوامهم ، وتعبيدهم لخالقهم وبيان أمور الدنيا والأخرة ، وقد أبتدأ الدين السماوى بآدم عليه السلام وختم بسيدنا محمد بن عبدالله ﷺ .

التعريف الذى أميل إليه

بعد إستعراضنا لما سبق من تعريفات للدين السماوى أستطيع تقديم تعريف له وهو أن الدين السماوى هو : توجيه إلهى يحسن الله تعالى به إلى المخلوقين ، ويكلف من بنى أجناسهم من يقومون بابلاغه لهم ، اصطفاء منه سبحانه وتعالى ، لاكسب فيه للنبى ولاتعليم ولاصنع ،بل تفضلا من الله ، ويصدقه الله فى أنه نبى "

---

(١) الدكتور عوض الله حجازى - مقارنة الأديان ص١٩ ط ٤ دار الطباعة المحمدية

(٢) الدكتور صفوت حامد مبارك - مدخل لدرات الاديان ج١ ص٩ سنة ١٩٨٧ مطبعة الفجالة الجديدة .

(٣) الدكتور / محمد رجب الشتيوى - النصرانية ص ٢٤ ط أولى دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩ م .

وهذا التعريف الألهى المحسن به شامل أمور الدنيا والدين المعاش والمعاد مع كافة المخلوقين ممن نعلم وما لانعلم . على أن يكون المبعوث لكل امه من بنى جنسها . ويقوم لهم بتبليغ ما أمره الله به . ولأن الله اصطفاه فهو صادق ذكى فطن . أمين طاهر عف . ثم تأتى مكملة تأييد الله له . فتصدقه المعجزة .

على أن هذا الدين السماوى له خصائص وسمات . لابد من ذكرها حتى يستبين الفرق بينه وبين غيره ممن يشتركون معه فى مجرد التسمية كالدين الفطرى . والدين العقلى . والدين الوضعى والدين الوجدانى . وغيرهاما يشترك معه فى اسم الدين .

ثانيا : سمات الدين الألهى .

للدين الألهى سمات وخصائص يفترق بها عن كافة مشاركيه فى الاسم . من هذه الخصائص والسمات مايلى :

١- التسمية :

الدين الألهى يوصف بأنه من عند الله تعالى . وبالتالى ينسب . فيقال دين الهى . ودين سماوى . لأنه من عند الله أنزل . وبأحكامه وتعاليمه عرف . ووفائه لكل المتطلبات استوفى وتركيزه على الأيمان بالله ورسله واليوم الآخر والغيب كله .

٢- تنزيه البارى جل وعلا :

اثبات وجود الله تعالى مع تنزيهه جل علاه . واثبات كافة الكمالات الالهية له جل علاه . مع الايمان به . يمثل حجر الاساس فى الدين الالهى . إنه تصديق بوجوده تعالى وجودا مطلقا لا أول له ولا أخر . يده فى كونه مطلقة وارادته نافذة

، وعلمه محيط شامل ، وكل ما فى الكون بارز امامه سبحانه لا يغيب عنه شئ ، ولا يغرب عن علمه شئ .

ومع هذا فهو منزه عن المشابهة لأى من مخلوقاته ، انه متعال فوق الجميع . لايشبه أحدا من خلقه ، ولا يشبهه واحد منهم لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله (١) قال تعالى :" **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** " (٢)

إن تنزيه البارى عن المماثلة فيه اثبات الكمال المطلق له جل علاه . لأن كافة المخلوقات محتاجة إلى خالق ، وبالتالى ففيها احتياج ونقص ، وهى بعد احتياجها ونقصها تكون غير متكاملة ، ومن ثم . فالله لا يشبه واحدا منها ولا يماثله .

والدين الألهى يقدم صورة مثلى ضرورة " تصور الله فى ضوء التنزيه والتشبيه معا شريطة أن يفهم من التنزيه البعد بتصور الاله عما لا يليق ، وإن يفهم من التشبيه اثبات الايجابية وتحقيق فعاليه الله فى الوجود (٣) .

فليس الله سبحانه وتعالى بهذا التنزيه بعيدا عن العالم كما تصوره الفكر الاغريقى قديما عند أرسطو ، واليهودى فى وصف سليمان بن جبيرول لله بأنه " منزه عن الاتصال بالعالم تنزيها تاما (٤) " لأن هذا التنزيه غير فعال " إنه تنزيه يشبه التعطيل ، إنما تنزيه الله تعالى دفع الاحتياج عنه ، مع كمال الفاعلية عنده جل علاه .

---

(١) الدكتور / عوض الله حجازى - مقارنة الاديان صـ ٢٠ (٢) سورة الاخلاص

(٣) الدكتور / محمد كمال جعفر - الإسلام بين الأديان صـ ١٩٤ .

(٤) القس - صموئيل مشرقى - الالهيات صـ ٦٤ ط ٢ / ١٩٨٧ الكنيسة المركزية بالقاهرة .

وقد حاولت المسيحية تنزيه الله ، ولكن لأنها ديانة الأباء وعقيدة القسس والشمامسة ، فلم تتمكن من تنزيه الله بما يليق به . وإنما الغت وجوده وعلمه تعالى " فيوحنا الدمشقى يصف الله فيقول : إن كانت معرفتنا تمتد إلى الأشياء الموجودة فقط ، فكيف نعرف ما يفوق هذا الوجود (١) " وهو بهذا يحاول إبعاد المعرفة بالله بغرض تنزيهه ، وهذا التنزيه هو التعطيل بعينه .

إذن الدين الألهى ينزه البارى عن أى نوع من المماثلة ، ويثبت له تعالى كل أنواع الكمال ، وهذا المعنى لا مثيل له فى الاديان الوضعية : إنما هو إحدى سمات الدين السماوى ، لأن منزله هو المتحدث عن ذاته الواصف لنفسه ، الكاشف عن كل ما يجب له ، وبهذا يتضح الفارق بينه وبين غيره .

٣- المبلغ به الوحى

الدين الالهى يقوم على أن المبلغ به هو الوحى الالهى إلى البشر بواسطة من يختاره الله من رسله ويصطفيه من ثم فالدين " السماوى هو الصادر عن الله - تبارك وتعالى - والداعى إليه هم الانبياء والرسل الذين هم وسطاء بين الله والناس ، يتلقون مراد الله تبارك وتعالى ، ويبلغونه إلى الناس ، وليس للوسطاء أدنى حظ فى وضع الدين ، ومهمتهم الأساسية إنما هى التبليغ والتوضيح والتبيان فقط ، وحتى فى مهمتهم هذه التى هى التبليغ والبيان إنما يسيرون على هدى من أوامر الله ، وأسلوب يوضحه لهم الله " (٢)

---

(١) المصدر السابق هـ ٦٧ .

(٢) الدكتور محمود محمد مزروعه - دراسات فى الملل والنحل جـ١ هـ ١١

إن الدين الالهى تحمله كلمات الله بأسلوب تعبيرى يفهمه الملك المرسل من جهة الاله (١) بحيث تكون اللغة المرادة ، والمعانى المقصودة ، والتوجيهات المنقولة هى بعينها التى ينقلها ملك الوحى إلى الرسول نفسه ، بحيث يتمكن الرسول الذى أمره الله من ابلاغ قومه بلاغا تاما ، لانقص فيه ، واضحا لا خفاء حوله ولا غموض يلحق به ، وتلك مهمة ضرورية توقفك عند الدين الالهى ، وتريك الفرق بينه وبين غيره .

كما أن الدين الالهى لا تكثر فيه الوسائط الذين ينقلون النص المنزل انها واسطة واحدة خلقها الله وأمرها بهذا الواجب ، ولو كثر الوسطاء لتعددت الأفهام ، وربما سقطت بعض التعاليم أو نالت منها عوادى الزمان كالحال فى الاديان غير الالهية ، التى يضعها لهم بشرمنهم ، ثم ينقلها إليهم نقله ، ثم يقوم كل من النقلة بابداء رأيه فيها بل انه ربما عدل فيها أو صحح ، أو عول عليها أو تخلف ، أما الدين الالهى فليس فيه إلاواسطة محددة واحدة كلفها الله بنقل تلك الرسالة إلى النبى ذاته ، ونقلها النبى ذاته إلى الأمة التى أرسله الله إليها مباشرة .

إن الدين الالهى سليم المصدر ، صحيح النسبة إلى الله تعالى ، دقيق فى مرآده ، ويحمل الثواب والعقاب والقيم والاخلاق النبيلة فى جانبه ، ومع كل هذا فهو حامل لصفات المنزل له ، إن الدين الالهى رسالة من منزله إلى خلقه ، إنه يحمل تنزيه الاله الخالق واثبات كافة الكمالات له بما يتناسب وذاته المقدسة مع بيان استغنائه تعالى عن كافة المخلوقين ،وكل هذا يحمله المصدر نفسه الموحى به ، المبلغ إلى الخلق من الخالق .

---

(١) وملك الوحى هو جبريل الأمين .

٤- فرض طاعة الخالق وحده .

الدين الالهى لا يفرض على المخلوقين طاعة أمثالهم الا فى حدود ما شرع الله تعالى ، مثل طاعة النبى ومتابعته وحبه فطاعة النبى من طاعة الله ، ومحبة النبى جزء من محبة الله . " **قل أطيعوا الله والرسول (١)** " " **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٢)** بل رفع الايمان عن من لم يحكم رسول الله فى أى خلاف ينشأ بين القوم متى أعلنوا استظلالهم براية الاسلام قال تعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٣) "

وجعل الإسلام طاعة الله وحده هى الواجبة ونفر من طاعة أصحاب المعاصى حتى ولوكان من أولى الأمر ، وجعل طاعة رسوله كطاعته لأنه مبلغ عنه سبحانه وتعالى " فصح عنه ﷺ قوله " إنما الطاعة فى المعروف" ، وفى المسند عن أنس أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال :

" يارسول الله أرأيت إن كان علينا أمراء لا يستنون بسنتك ، ولا يأخذون بأمرك فما تأمر فى أمرهم ؟ فقال رسول الله ﷺ لا طاعة لمن لم يطع الله عزوجل" (٤)

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٢ " قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين "

(٢) سورة آل عمران الآية ٣١ .

(٣) سورة النساء الاية ٦٥ .

(٤) أخرجه الامام أحمد جـ٢ صـ٢١٣ .

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " سيلى أموركم بعدى رجال يطفئون السنة بالبدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها . فقلت يارسول الله وإن أدركتهم كيف أفعل ؟ قال " لاطاعة لمن عصى الله (١) والروايتان معناهما واحد . هو أن الطاعة المفروضة لا تكون الا لله ورسوله والقائمين على شرع الله طبقا لما أخبر رسوله ﷺ .

" وعن معاذ بن جبل ﷺ قال : " قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، ويباعدنى عن النار ، قال لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه .

تعبد الله لا تشرك به شيئا .

وتقيم الصلاة

وتؤتى الزكاة

وتصوم رمضان

وتحج البيت

ثم قال له : الا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع - حتى بلغ - يعلمون . ثم قال : الا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه . قلت بلى يارسول الله قال : رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد . ثم قال الا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قال بلى يارسول الله ، فأخذ بلسانه ثم قال : كُفَّ عليك هذا ، قلت يا نبى الله وأنا

---

(١) ابن ماجه جـ٢ صـ٢٨٦٥ .

لمؤاخذون بما نتكلم به فقال : ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم ؟ (١).

وهكذا فإن الدين الالهى لم يفرض طاعة الا طاعة رسله ، ولم يطلب من الخلق تعظيم بعضهم البعض ، وإنما بين أنهم جميعا شركاء فى طاعة الاله الواحد ، وشركاء فى عبادته وأنهم جميعا أمام مسؤلية واحدة ، هى الالتزام بما أمر وحده ، والانتهاء عما نهت عنه تعاليمه جل علاه .

إن الدين الالهى يرى المخلوقين طبقة واحدة أمام عدل الاله ، وبالتالى فلم يفرض عليهم الا طاعته وحده و هذه الطاعة تعبير عن إيمان مطلق بوحدانيه الله تعالى ، مع اختصاص هذا الواحد بالاعتقاد فيه وحده ، والعبادة له وحده : فلا خضوع لغيره ، إلا بحكم الشرع ، وفى حدود ما أمر به الله ولا استعانه إلا به وحده فمنه العون ومنه السداد ، إنه صاحب القدرة النافذة ، والارادة الواسعة ، والعلم الذى لا يحد ، وكل ماله من صفات الجلال والكمال ومن ثم كان النداء " يا ابن آدم لا تخف من سلطان مادام سلطانى باقيا .

بل إن هذا الدين الالهى يشعر المخلوق بعظمته أمام خالقه العظيم وبالتالى صنعته كذلك عظيمة وجاء فى الأثر " إن الله صانع كل شئ وصنعته " ولا توجد هذه المعايير الا فى الدين الالهى . الذى كشف الغطاء عن تواضع امكانيات المخلوقين أمام إرادة الخالق ، وربما نستشهد بقوله ﷺ "وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيئ لن ينفعوك الا بشئ قدكتبه الله لك . ولو

---

(١) الامام ابن رجب البغدادى جامع العلوم والحكم صـ ٣٤١ تخريج عصام الدين الصبابطى دار الحوين والحديث رواه الترمذى وقال حديث صحيح حـ٥ صـ٢٦١٦ .

اجتمعت على أن يضروك لن يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " (١) ولا يوجد هذا التوجيه الا فى الدين الالهى وحده .

٥- الشكل العام :

الدين الالهى قائم على أنه من عند الله " سواء فى جوهره وموضوعه وفى طريقة عرضه وأسلوب تبليغه (٢) أوامره ونواهيه عقيدته ، وشريعة ومعاملاته ، والغاية التى تأتى منه ، وكل ذلك فى سياق واحد يراعى الزمان والمكان وملاحقاتهما من غير أن يحدث إخلال فى أى منها ، إنه النظام الكامل ، والشكل الذى لا يدانيه أخر ، وتلك خصيصة يجب أن تراعى . أثناء النظر الى الدين الذى ندرسه.

إنه غير قابل للنسخ أو التعديل ، ولا يطرأ عليه الحذف أو تأتيه الزيادة فى مسألة العقيدة الالهية ، لأن عقيدة الرسل أجمعين فى الله تعالى واحدة " فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ، والرسل وعصمتهم واليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب أو عقاب ، إن الخالق عند جميع الرسل واحد ، وإن هذا الخالق تجب عبادته واختصاصه جل شأنه وحده بهذه العبادة ، وإن هذا الاله يجب أن يثبت له جميع صفات الكمال ، وأن ينزه عن جميع صفات النقص ... وأنه سيحاسب الناس على أعمالهم ، وكل هذا قدر مشترك بين جميع الاديان السماوية (٣) .

---

(١) مختصر الزبيدى صـ٢٨ من حديث ابن عباس ﷺ .

(٢) الدكتور محمود محمد مزروعة - دراسات فى الملل والنحل صـ١٢ .

(٣) الدكتور عوض الله حجازى - مقارنة الاديان صـ٢١ .

إن الدين الالهى يراعى القيم النبيلة حتى يغرسها فى نفوس المؤمنين به . وينهى عن الرذيلة حتى يقتلعها من سلوك المؤمنين به . إن الفضيلة خير والرذيلة شر . والشكل العام للدين الالهى يحافظ على الاولى ويقربها إلى النفوس بل ويدعو إلى ممارستها . ويجعل ثوابها عنده سبحانه وتعالى . فالحب قاعدة أساسية طالما كان فى الله ورسوله . وفى المؤمنين . من خلال نصوص صريحة . حب الله أولا . وحب رسوله يتبعه حتى يكون حب الله ورسوله غالبا على كل مشاعر النفس وعواطف الوجدان . ثم ينتشر هذا الحب فيشمل حب المرء نفسه حتى لا يهلكها . وحبه والديه وأولاده وزوجه والمحيطين به من أخوانه المؤمنين بالله .

كذلك الايثار الذى يقوم على تفضيل الانسان شرع الله على هدى نفسه . وتغليب نواهى الاله الاعظم على الملذات الشخصية حتى ينتهى الامر به إلى ايثار تكون قاعدته أوامر الله ونواهيه . وقمته الرغبة فيما عند الله تعالى والتمسك به . ايثار ما شرع الله على ما تعلقت به النوازع . ايثار طاعته على معصيته . ايثار أخوانه فى الله على نفسه حتى ينتهى الامر بأن يكون الايثار فضيلة تتمكن من الانتشار فى كل المجتمع المؤمن بالله شكلا ومضمونا . وقس على ذلك كل الفضائل التى يحافظ عليها الدين الالهى فى شكله العام .

٦- الوفاء بالمتطلبات .

الدين الالهى نصوصه مرنة . إنه من عند الله سبحانه وتعالى . ولذا فهو يفى متطلبات المؤمنين به . من حيث نصوصه . ومن حيث أوامره ونواهيه . فضلا عن عقيدته وشريعته . تمر السنون والأيام والدين الالهى يفى كافة المتطلبات فلم يحرم الله شيئا ثم بان على مر الزمان أمر الحاجة إلى تعديله . كما لم يحل شيئا

فأتى زمان بانت الحاجة الى تحريمه ، بل على العكس فإن ما حرمه الله يشعر المؤمنون به أنه فعلا حرام ، وهم يستشعرون ذلك فى سلوكياتهم .

فمثلا حرم الله على المؤمنين به مما حرم أكل الميتة ، وربما كان العقل أول الأمر يسأل لماذا الميتة ؟ إن الأمر كشف عنه العلم فقرر ، أن مادة البولينا مادة سامة ، وأنها موجودة فى جسم الحيوان بنسبة عالية ، وإن النسبة القليلة منها تفرز عن طريق التبول ، أما النسبة المركزة فإنها لا تفرز الا عن طريق الدم ، فإذا مات الحيوان فإن نسبة البولينا السامة تبقى فى شرايين الحيوان وتضمر داخل أوردته ، وبالتالى تتحول إلى مادة سامة تضر بمن يأكلها ، وبالتالى فإن تحريم الله أكل الميتة يمثل نوعا من الوفاء بمتطلبات الزمان وهذا لا يوجد الا فى الدين الالهى .

قال تعالى : " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ماذكيتم وما ذبح على النصب وإن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم "(١)

٧- القواعد العامة

يتميز الدين الالهى بوضع قواعد عامة تطبق على كافة الأفراد متى كانوا يطبقونها فالاعتقاد قاسم مشترك وحقيقة ثابتة تطبق على الرجال والنساء الملوك والأجراء ، الأحرار والأرقاء ، الكل يعبد الاله الواحد المنزه الذى ليس كمثله

---

(١) سورة المائدة الاية ٣

شئ وهو السميع البصير، ولذلك كان النداء عاما " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا "(١) وقوله تعالى " ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون " (٢) قواعد عامة فى العقيدة تطبق على كافة المؤمنين بالله بغض النظر عن اماكن وجودهم، وتقسيماتهم الجغرافية لا قيمة للون او المركز الاجتماعى والوضع الأدبى أو المالى إنها عقيدة إلهية الشرط الوحيد فيها سلامة العقل من آفاته، وقس على ذلك أمور العبادة.

الصلاة مثلا. يقف المصلون متجاورين الملك والأجير، لابس الخشن ولفيف الحرير، إنها صلاة واحدة، نحو إله واحد، لقبلة واحدة، فى كل أرجاء المعمورة: " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " (٣)

إذن الدين الالهى يسقط حاجز التميز بأنواعه، وفى كافة الأمور التى تتعلق بالعقيدة والشريعة والأخلاق، ثم فى الوضع النهائى لاستقبال الآخرة - القبر - وهذه القاعدة العامة من خصائص الدين الالهى ولا توجد فى غيرة إن امور الآخرة والتصديق بها بعد الاخبار عنها من سمات الدين الالهى.

---

(١) سورة النساء الاية ١

(٢) سورة البقرة الاية ٢١

(٣) متفق عليه

٨- العصمة من الخطأ.

ذلك أن الدين الالهى مصدره الاله الاعظم جل علاه . وبالتالى فإن هذا الدين معصوم من الخطأ حيث عصمه مصدره وهو الله سبحانه وتعالى " ومن أصدق من الله حديثا (١) ومن أصدق من الله قيلا " (٢) وكون الدين معصوما من الخطأ يعطى ضمانات للمؤمنين به بلا حدود .

إنهم يعتقدون فى إله منزه ليس له شبيه إنه كامل من كل وجه . وبالتالى فهو الضامن لصحة ما أرسل به الانبياء . وصدق ما كلف به المؤمنين . إنهم لن يقعوا فى تجارب افكار الأخرين . وإنما كان الدين الالهى معصوما من الخطأ متى روعيت قواعده وطبقت أحكامه .

ولعل ديكارت فيلسوف فرنسا كان لديه بعض من صدق التوجه حين قال إنى اثق فى صحة الأفكار لأن الضامن لها هو الله سبحانه وتعالى وبالتالى فالحقائق الدينية صادقة لأنها من الله منزلة . والبدهيات الرياضية لأنها يقينيات سلمت بها العقول ومن ثم فأفكارنا صحيحة وسليمة لأن الضامن لها هو الله صاحب الكمال المطلق .

أجل ما من دين غير الهى الا وترى أصحابه قدوقعوا فيه بين مجرِّب ومجرَّب . وبين صاحب فكر ومجال تطبيق . حتى الافكار والقوانين التى يشيدها أصحابها نظريا متى حاولوا تطبيقها ظهرت سلبيات كثيرة واندفع المفكرون إلى اصلاح تلك الأفكار التى كانت مجرد خيال حالم . ولن يتمكنوا من الاصلاح . لأنه فكر بشرى الخطأ يحيط به من كل جانب . والنقص يحتويه من كل وجه .

---

(١) سورة النساء الآية ٨٧ (٢) سورة النساء الاية ١٢٢

أما الدين الالهى فحق كله ، وصدق كله نتائجه يقينية ، ومقدماته صادقة ، وعقيدته يتمكن منها كل المكلفين بها ، وشريعته فيها من المرونة ما تستوعب كافة المناحى ، وتوجه كل عصر وزمان ، متى كانت الرسالة عامة خالدة ، دائمة أبدية ، وهى دين الإسلام : من ثم فقد بانت لنا بعض الفروق الجوهرية ، التى تمثل بعض خصائص الدين الالهى .

" إن الأديان السماوية معصومة من الخطأ دون الأديان الوضعية ، وذلك لأن الأديان السماوية تأتى عن طريق الوحى ، ومصدر الوحى هو الله ، والله هو الحق ولا يصدر عنه الاكل حق ، ولذلك كانت الأديان التى تأتى من هذا المصدر معصومة من الوقوع فى الخطأ " (١) إن مصدرها هو الله الذى أرسل النبى ، والنبى صادق لأنه مبلغ عن الله ، إذن الدين الالهى معصوم من الخطأ .

٩- بروز صورتى الترغيب والترهيب .

الترغيب والترهيب فى الدين الالهى يقومان على أمر واحد هو الاخافة من شئ معين يكون مظهرا لغضب الله تعالى ومعصيته ، أو سلب تلك الاخافة فيتحقق الأمان فى جانب شئ معين يكون مظهرا لرضوان الله تعالى وهو ما يسمى الترغيب والترهيب ، الذى يمثل صورة أخرى للثواب أو العقاب .

والثواب والعقاب فى الدين الالهى تراهما متلازمين بحيث ينظر إليهما العقل فيرى نفسه بين أمرين لا ثالث لهما ، إما ارضاء الخالق جل علاه ، وتزكية النفس ، والانتصار على العواطف الهشة والغرائز المندفعه وتحقيق الصالح العام للبشرية كلها ، وبالتالى يناله ثواب الله ويحظى برضوانه ، فيرى النعيم فى

---

(١) الدكتور / صفوت حامد مبارك - مدخل لدراسة الأديان صـ١١

الاخرة رؤى العين فيها مالاعين رأت . ولا أذن سمعت . ولا خطر على قلب بشر " فيها حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون فيها من الوان النعيم وأفانين الجمال . ما يعوض أى حرمان طارئ أو يوجه متعة عرضية . بل ويفوق كل ذلك بمراحل لا تحد . ومن ثم يقبل رضوان الله فيعمل خيرا .

واما اغضاب للخالق جل علاه فيولى ظهره أوامر الله ويصم أذنيه . ويبعد عقله عن الالتفات لنواهيه . إنه يرى المتعة لحظة أن ولت لن تعوض . والغرائز نجواه إن لم يجبها صمتت . والخروج على شرع الله حقا له فما بال غيره يحاول ضبطه عليه وابعاده عنه . ومن ثم تراه إلى المعاصى ينقلب . وفى الوانها يتقلب دون أن يردعه ضمير فى حناياه يتحرك . أو يوقظه عقاب فى عقله ماثل .

من ثم رأينا الثواب والعقاب فى الدين الالهى يقع بينهما نوع من التلازم المضطرد . من أمثال قوله تعالى " **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** (١) وإذا كانت هذه الاية قد جاءت بالثواب والعقاب كنتائج ممثلة فى الخير وعمله . والشر وفعله . فإن هناك أيات أخرى جاءت حامله بعض التفصيل لأمرى الثواب والعقاب من ذلك قوله تعالى " **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا**"(٢) وهذا الوصف العام للنار. وأنها محاطة بسرادقات قوية وتحصينات منيعة . وأن أهل العقاب لن يفلتوا منها . بل إذا ضرب فيهم العطش الامه

---

(١) سورة الزلزلة الايتان ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الكهف الاية ٢٩ .

واستغاثوا طالبين ما يروى ظمأهم فإنهم سوف يجابون إليه . لكنه ماء يغلى فإذا لامس الأكباد حرقها . وإذا اقترب من الأمعاء مزقها إنه لشدة ما فيه من قسوة لو وضع على الجلود لأصابها بالتشوه . فما بالك بمن يشربه .

أما جانب الثواب فترى التهيئة له . والتزكية لأصحابه . قال تعالى " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا "(١)

إنهم قد امتثلوا أوامر الله ففعلوها . واجتنبوا نواهيه فابتعدوا عنها . ولذا كانت أمارات الثواب بادية حتى في لغة الخطاب الإلهي ووصفهم بأنهم عملوا الصالحات . ثم بيان أن أجرهم مضمون وأن الضامن له هو الله سبحانه وتعالى الذي يجازي وما دام العطاء والجزاء من عند العظيم فلا شك أن هذا العطاء سيكون عظيما .

ثم فصل نوع الأجر الحسن هنا وبين أنه يشمل نعيما من ألوانه أنها جنات عدن . فيها أنهار من تحتهم جارية وماء عذب رقراق . وفوق ذلك فإنهم لن يبذلوا مجهودات في وصول النعيم إليهم . إنهم على آرائك في الجنات يتكئون . إنها دار الثواب المقيم . والرفيق الأمين . والأجر الجزيل .

---

(١) سورة الكهف الآيتان ٣٠ / ٣١

وهذا الثواب وتلك العقاب ملاحظ فيهما الابدية . فاعتبار المدة لا قيمة له قال تعالى " فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السماوات والارض الا ما شاء ربك أن ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السماوات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد أباؤهم من قبل وأنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص " (١).

ولا شك أن ظهور قاعدة في الثواب والعقاب بهذا الشكل تجعل الاخافة محققة . والنعيم واقعا . أنها اخافة دائمة ليس فيها مجال للتأقيت . فإن لم ينل الظالم جزاء ظلمه فى دنيا الناس فلا شك أنه أتيه يوم القيامة " ولن يفلت منه أبدا . وكذلك الطائع أن لم يحصل ثوابه له فى دنيا الناس فلا شك أنه ملاقيه فى الأخرة عند الله تعالى . وهذه من القيم التى لا توجد الا فى الدين الالهى .

إن مسألة الترغيب والترهيب فى الدين الالهى هادفة . أنها تصحح العقيدة فى نفوس المؤمنين بها . وتكشف جمال الالتزام الشرعى كما تحافظ على السلوك فلا يقع فى منحط درجات بل يعلو فوق الهامات . كما تدفع إلى تجنب الوقوع فى الخطاء . " ولذا نجد فى كثير من الأحيان أن بعض النصوص الدينية التى تتضمن الوعيد أو التهديد الذى يثير الخوف . تليها مباشرة نصوص أخرى مرغبة ومبشرة . بل قد نجد فى النص الدينى الواحد جانبى الاخافة والطمأنة(٢)

---

(١) سورة هود الايات ١٠٦ / ١٠٩ .

(٢) الدكتور / محمد كمال جعفر - الاسلام بين الاديان صـ٣٢

فقد عرض النص الدينى الالهى صورة رهيبة من صور عذاب المشركين فى القرآن الكريم قال تعالى " قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون " (١)

والناظر للنص القرانى الكريم يراه تحدث عن الخاسرين ، ويبن أن خسرائهم جماعى إنهم خسروا أنفسهم وخسروا أهليهم معا ، وكشف أن هذا الخسران غريب ، لأنه كان الأولى لهم ، والأجدر بهم أن يقوا أنفسهم شر النار ، ويباعدوا أهليهم عنها فما بالهم قد خسروا وأضلوا أهليهم الذين التمسوا عندهم النجاة .

كما يرى وصف العذاب الخاص بهم وأن أرضهم وسماءهم ، فرشهم وغطاءهم سيكون من النار وفى النار " لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل " ثم انظر إلى قوله تعالى " ذلك الذى يخوف الله به عباده ترى صورة الترهيب واضحة وطريقة الاخافة جلية . والنظم القرانى المحكم قد حمل هذه وتلك للمشاهد بعينه المتأمل بقلبه بحيث ينصرف عن الخسران إلى الايمان .

" ولكنه يعقب ذلك مباشرة بدعوة العباد الى التقوى لئلا يلقوا هذا المصير . وهنا نحس نسيم الحنان والرحمة ياعباد فاتقون . ثم يتبع ذلك بالتبشير والترغيب (٢) فيقول : " والذين إجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنا بوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب " (٣)

---

(١) سورة الزمر الأيات ١٤/١٦ . (٢) د/ محمد كمال جعفر الإسلام بين الاديان صـ ٣٢

(٣) سورة الزمر الايتان ١٧ /١٨ .

وبعض الأيات القرآنية ربما ابتدأت بذكر جانب الطمأنة مثل قوله تعالى " نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم " ثم يليها ذكر الاخافة والترهيب فيقول الله تعالى" وأن عذابى هو العذاب الاليم (١) إن الأمر ليس متعلقا فى ترغيبه وترهيبه بالحياة الدنيا وحدها . إنما بها والتركيز على الحياة الأخرة .

وهذه الصورة الغيبية لا توجد بجمالها الا فى الدين الالهى الذى يسمو بأصحابه فى الدنيا والأخرة . إن الدين الالهى " رحمة الله إلى البشرية وهدايته لها من سار عليه نجا . ومن أعرض عنه هلك وخسر (٢) ومن ثم فإن الترغيب والترهيب من سمات الدين الالهى السماوى على ما سلف بيانه .

وهناك وجوه أخر أجدنى لو تناولتها فربما امتدت صفحات البحث أكثر . وربما اجتاحته المقارنة فى هذه الناحية . رغم كثرة الموضوعات . وقلة الوقت . فلنعد إليها فى وقت يكون أكثر سعة حتى نعرضها ونناقشها وندلل عليها .

ثالثا : الغاية من الدين الالهى .

للدين الالهى غاية سامية تقوم على : -

١- تعريف المخلوقين بخالقهم العظيم بما ينبغى له من جلال وكمال ومهابة .

٢- تبصير المكلفين بما يجب عليهم نحو هذا الخالق العظيم رب العالمين .

٣- تيسير أمورهم الحياتية بما يضمن لهم استقرارها وسلامتها .

٤- تعريفهم بكيفية إعمار هذا الكون باعتبارهم خلفاء فيه عليهم صيانته والقيام بأعبائها على الوجه اللائق شرعا .

---

(١) سورة الحجر الايتان ٤٩ /٥٠

(٢) د/ محمد رجب التبوى - النصرانية صـ٢٦ أولى ط ١٩٨٩ م دار الطباعة المحمدية .

٥- تعبيدهم نحو الله رب العالمين عبادة صحيحة قائمة على عقيدة حقة سليمة .

٦- ضبط نظم حياتهم الدنيوية حتى إذا صحت لهم سلمت لهم حياتهم الأخروية وهى هدف جميل ، وأمر لاوجود له الا فى الدين السماوى وحده .

٧- شد افهامهم والأخذ بأذهانهم بأن هنالك دارا أخرى لها سمات عديدة ومواصفات محددة ، وأن فيها نعيما مقيما لمن أطاع الله ، وعذابا أليما لمن عصاه .

٨- تعريفهم بواجباتهم نحو بعضهم ابتدأ من علاقة الانسان بأخيه فى الإنسانية ومرورا بعلاقة الأنسان بالحيوان والجماد والنبات وكافة المخلوقات على ما يجب أن يكون فيما بينها من تعاملات وعلاقات .

٩- وضع قواعد أخلاقية تصان بها الألسنة وتحفظ الأعراض ، ويتم الايثار وتحقق أوجه التعاون بحيث تزول من بينهم الفوارق والانانية ، ولا يبقى للحقد فى الصدور مكان .

١٠- ضبط السلوك الانسانى وتوجيهه على نحو يرضى الله عزوجل فيحفظ للمؤمنين به أملا يرجونه وحلماكم حاولوا فى دنيا الأفكار تحقيقه .

وهذه الغاية السامية لا توجد الا فى الدين الإسلامى بحيث تمثل غاية عليا لا تدانيها غاية ، ولذلك أخفقت المذاهب الفلسفية والاخلاقية ، ولم تصل إلى غاية ومثلها الأديان العقلية ولم تفلح فى انقاذ البشرية الاديان التطورية ، بينما نجح الدين الالهى وحده، لأن الغاية فيه تكميل المخلوقين وتجميلهم ، حتى يصح لهم فى النهاية أمر رضى ربهم ، الذى به تتحق سعادتهم ، فتهدأ نفوسهم فما هى الأديان الوضعية من ناحية تعريفها وسماتها ؟

ب- الأديان الوضعية

سلف الحديث عن الدين الألهى - السماوى ، من ناحية تعريفه وخصائصه التى تميزه عن الأديان الوضعية ، كما بان لنا أن الغاية فى الدين الألهى سامية تعلو بالمؤمن درجات حتى يبلغ عندربه منزلة الرضوان ، فيرى الانوار الألهية ، ويشاهد المعانى الربانية ، ويعيش فى صفاء وطمانينة بينما يعيش غيره من اتباع الأديان الارضيـة ، حيرة لا يرون معها أمنا ، وشكا لايعرفون من خلفه معالم يقين .

وها نحن أولاء نتعرض للأديـان الوضعيـة من حيثيات عدة حتى نتعرف عليها ، لا باعتبار أفكارها والقوانين ، ولا مبادئها والتعاليم ، فذلك شأن آخر نوليه عناية بعد الانتهاء من هذه المقدمات التى أراها ضرورية ، وإنما ساعنى بها من حيث :

١- التعريف .

٢- السمات والخصائص .

٣- الغاية .

وأعد القارئ الكريم - إن أمد الله فى العمر وتحسنت الصحة - أن استمر فى بيان تلك الأديان الأرضية بقدر ما يتيسر لى حتى يقف عليها واضحة جليه بلغه عصرية ، ومصطلحات فنية ، فلنبدأ بالمرحلة الأولية .

١- التسمية .

تسمى الأديان الوضعية بعدة تسميات . منها ما هو شائع مشهور كالتسمية بالأديان الوضعيـة ومنها مـا هـو نـادر كالتسمية بالأديـان الأرضيـة فـى مقابلـة

الأديان السماوية ، ومنها ما هو محل توارد كالتسمية بالأديان الانسانية ، فى مواجهة الأديان الالهية .

وهذه الأديان الأرضية منها .

١- أديان بشرية خالصة .

وهى مجموعة المعانى والقوانين والتعاليم التى صاغها بشر توسموا فى أنفسهم ملكات القيادة والزعامة ، وطالبوا الناس باعتناقها واعتقاد صحتها والقيام عليها بحيث تكون هى عقيدة وعبادة معا وهى بشرية خالصة لاعلاقه لها بوحى أو أصول دين سابق كالبوذية والبرهميه فإنها بشرية خالصة .

٢- أديان محرفة :

وهى التعاليم والمبادئ والمؤتمرات التى قامت على تحريف الدين الألهى ، بالاضافة إليه ، والزيادة عليه والتبديل من أحكامه ، بما يقضى على معالم التوحيد والتنزيه الالهى ، ويوضح أنها من وضع بشرى وإن تسمت بالسماوى كالمسيحية التى قامت على أنقاض النصرانية واليهودية التى قامت على أكتاف الموسوية .

٣- أديان ملفقة .

وهى التى قامت على مجموعة من المبادئ والقوانين الفكرية البشرية وفى بعضها ظواهر أو شواهد لتعاليم سماوية ، فهى من حيث الأصل ليست سماوية . ومن حيث المظاهر والشواهد تدعمها سلوكيات فيها نغم سماوى على سبيل الاقتباس منه بغير اشارة إليه .

وربما نرى ذلك فى تعاليم كونفوشيوس " حكيم الصين الاكبر الذى كان يدعو إلى الأخلاق الفاضله والتسامح والاحسان والصفح والعفو وبر الوالدين

والاحسان إلى الفقراء ، والعطف على الضعفاء ... ووضع مجموعة من النظم والتشريعات تتعلق باصلاح القوانين والتعليم .. وكان يهتم بتهذيب الأخلاق ، وتقويم السلوك حتى يوجد مجموعة من الرجال زوى الفضل " (١) وهو نوع من التلفيق إذ لم ينادى بمذهب فلسفى ، أوفكرة أخلاقية ، وإنما أعتبر نفسه صاحب دين يجب اتباعه حتى ولو خالفه الأخرون .

ومن هذا النوع الصهيونيه التى لفقت صورة للديانه اليهودية ، وبات الجميع لا يقبلون عليها أما لماذا ؟ فلأن " الصهيونيه يخفون الملابس الصهيونية القذرة والفجة تحت ثياب طاهرة ومقدسة ولذلك فإنهم لا يسيرون على هدى تعاليم الدين والشريعة اليهودية الحقة " (٢) .

إذن الأديان الأرضية متعددة ، وذات انماط مختلفة . وبعضها مذاهب فلسفية أو أخلاقية وبعضها تصورات عقلية ، وبعض أخر يمثل صورة لنواح سيكولوجية ، وكل هذا تحت اسم الاديان الوضعية يندرج ، وباسم الأديان الأرضية يصح أن يعلم ويخبر عنه .

وأقرب الأراء فى التسمية أنها . الأديان الأرضية الوضعية . التى يقوم بها بعض من بنى البشر فى محاولة منهم لتحقيق مراكز على رؤس غيرهم بعيدا عن شرع الله ووحيه وإن اتسمت باسم الدين نفسه .

---

(١) د/ صفوت حامد مبارك - مدخل لدراسة الأديان صـ ٤٠ .

(٢) د/ رشاد عبدالله الشامى - القوى الدينيه فى إسرائيل صـ ١٢٥ سلسلة عالم المعرفة العدد ١٨٦

٢- تعريفها:

تعرف الاديان الارضية - الوضعية - بأنها :

أ- " مجموعة من المبادئ والقوانين العامة وضعها بعض الناس المستنيرين لأممهم ليسيروا عليها ، ويعملوا بما فيها، والتى لم يستندوا فى وضعها إلى وحى سماوى ، ولا إلى الأخذ عن رسول مرسل ، وإنما هى جملة من التعاليم والقواعد العامة اصطلحوا عليها ، وساروا على منوالها ، وخضعوا فيها لمعبود معين أو معبودات متعددة " (١) لكنها فى جملتها من وضع بشر.

ب- الدين الوضعى هو الذى يضعه البشر، " وهو من اختراع العقل الانسانى "(٢) وحده دون الرجوع به إلى مصادر أخرى غير النظرة الأنسانية ، ثم يتواضع عليه من اتفقوا عليه .

جـ- الدين الوضعى : هو ما استوحاه عقل الانسان وخياله ، على مقتضى مصالحه وضروراته الراهنة " (٣) التى يرى الحاجة ماسة إليه .

والدين الوضعى طبقا لهذا لا تمثله قواعد ثابته ولا قضايا كليه يجمع عليها الناس جميعا ، وإنما هو حالات فردية ، وافكار خاصة ، طبقا لوجهة نظر معينه ، ومن خلال أفكار معينة ، ذلك لأن واضعى هذه القواعد وتلك يتباينون فى ثقافاتهم واتجاهاتهم الفكرية ، كما يختلفون فى عقائدهم التى تنطوى عليها ضمائرهم ، فإذا وضعوا قوانين أو قواعد وطالبوا الناس اعتناقها فلا شك أنها لن تمثل إلا وجهة نظر مؤلفيها فقط .

---

(١) د/ عوض الله حجازى مقارنة الأديان صـ١٨ .

(٢) د/ محمود محمد مزروعة - الملل والنحل حـ١ صـ١١ .

(٣) د / رفقى زاهر - قصة الاديان صـ١٧ ط أولى ١٩٨٠ دار المطبوعات الدولية .

٣- سمات الأديان الوضعية :

للأديان الوضعية سمات وخصائص تميزها عن غيرها ، من الدين الالهى ، لأن المعروف هو أن الدين الالهى جوهره الوحى " والوحى ثابت لا يتغير لأنه يمثل التعبير الفعلى عن الادارة الالهية ، كما يتضمن الحقائق الخالدة .. ومن ثم فالوحى يبقى على القرون دون أن يخضع لأى تغير(١) لأنه من عند الله .

أما الأديان الوضعية فإن الاضطراب فيها والقلق قائم كله على قدم وساق ، أنها لا تقوم على وحى ، ولا تفى بحاجات البشر ، ثم هى فوق ذلك كله ملئ بالنقص البشرى الذى يملأ أفاق مؤلفيها فى ذات الوقت . ومن هنا كانت الضرورة لبيان سمات الأديان الوضعية .

مع الأخذ فى الاعتبار أن الأديان الوضعية تتخالف فيها بينهما ، فالهندوسية ليست كالبوذية والمانويه ليست كالمزدكية ، وإنما يقع بينهما جميعا انها قواعد نظرية وتطبيقات خيالية ومبادئ اولية بحيث يصعب الجمع بينها على جهة مقبولة . فما هى تلك السمات .

السمة الاولى : أنها ليست من عند الله .

وذلك بين من اسمائها فهى منسوبة إلى الأرض لا إلى السماء ، إلى الوضع لا إلى الانزال الالهى ، ولأنها من عند غير الله فقد طبعت بطابع من أنشاها ، فإن كانت ديانة تطورية حملت أفكار أصحابها ، وإن كانت عقلية اصطبغت بنفس الصبغة أما إذا كانت ديانة طوطمية فإن مبادئها وعقيدتها وكافة طقوسها والشعائر تدل عليها مباشرة لأنها تحمل عادات معينة وتقاليد لا تبرحها أبدا .

---

(١) تراث الانسانية جـ٢ صـ٦٠٥ طـ٢ عالم المعرفة العدد ١٢

والدليل على أنها ليست من عند الله مايقع فيها من أوجه الاختلاف فى المبادئ وطرق التطبيق والتناقض بين السلوك الواقعى والأفكار النظرية . وهذا الاختلاف كبير جدا لا يمكن الجمع بين أطرافه . ولعل هذه السمة قد نبه إليها القرآن الكريم حين تنزه عن الاختلافات القليلة أو الكثيرة . والمح إلى أن الاديان التى من عند غير الله سماتها الاختلاف البين قال تعالى " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا " (١)

قال الشيخ البروسوى : " لو كان القرآن من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا تناقض المعنى ، وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا ، وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض ، على ما دل عليه الاستقراء . لنقصان القوة البشرية " (٢) وبالتالى فإن وجود الاختلاف فى الاديان الوضعية دليل على أنها ليست من عند الله .

الديانة الوضعية ، إنك ترى الخلاف فيها على أشده بدء من تصور فكرة الغيب التى تشمل الاله وخلق الكون حتى نهاية المطاف . كما أنها تتعدد فيها الألهة بشكل ملفت للنظر مما يدل على أنها ليست من عند الله بحال من الأحوال . حيث قد ظهرت ألهة كثيرة فى الديانات الوضعية . بل فى كل ديانة منها ترى عددا من الألهة .

ففى أرض الهند ظهرت ألهة كثيرة منها :

---

(١) سورة النساء الاية ٨٢

(٢) الشيخ / اسماعيل حقى البروسوى - تنوير الاذهان من تفسير روح البيان جـ١ صـ٣٥٨

١- الاله : قيساكاراما : وهو اله حاذق مرن فى الاعمال . وهو الذى استخدم الشظايا التى تنتشر من أشعة الشمس ليصنع دائرة منها للاله فشنو ورمحاله ، وكذلك لصنع اسلحة أخرى للآلهة الأخرين ، وحراسة الخرائن "(١)

٢- الاله : براجا باتى : وهو اله الذريات والانسان والكائنات كلها ـ وقد تطور هذا الاله من إله الشمس كما وصفته بعض مصادر الديانه الوضعية بأنه " نشأ كما تنشأ الجرثومه الذهبية ، فلما ولد أصبح سيد هذا الكون . وهو الذى أبرز السماء والارض إلى الوجود ، ومنح الحياة والقوة لجميع الآلهة .

وبهذا يكون هذا الاله خالق الكائنات والالهة والإنسان ، وأعمال الانسان وصفاته والمبادئ والمثل ، وقد خلق هذا الاله أول ما خلق الماء ، ثم الشمس والكواكب والارض والحيوانات والانسان ، وكثيرا من الالهة على هذا الترتيب ، ثم قدم نفسه قربانا لأظهار هذا الكون وتحلل جسده وروحه فى جميع الكائنات الالهية والحيوانات والانسان " (٢)

وفى تقديرى أن مؤلفى الاديان الوضعية يكونون واقعين تحت تأثير بيئاتهم التى نشأوا فيها ، كما أنى أميل إلى أنهم مرضى بيئيين إذ " تتميز البيئة التى ينشأ فيها المريض بأنها بيئة متزمتة .

يرتفع المستوى الاجتماعى فيها عن تلك التى تورد لنا أصحاب الانواع الأخرى من العصاب ، حيث يسرف الابوان فى التمسك الجامد بالقيم والمعايير الخلقية

---

(١) د/ محمد اسماعيل الندوى - الهند القديمة حضارتها ودياناتها صـ٨٨ ط دار الكتب ١٩١٠

(٢) د/ عباس محمود عوض - علم النفس العام صـ٤١٣ دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٩

والاصرار الجامح على النظافة العامة والطاعة العمياء بضروب من السلوك الناهى عن الانحراف فيشعر دائما بالذنب وأنه فى حاجة إلى التكفير وعقاب الذات (١).

وبغض النظر عن نوع الأديان التى قاموا بها من تطو رية أو عقلية أو غيرهما لكن يكفينا أنهم فى الغالب الأعم مرضى وسواس عصابى " لذلك تبدو عليهم مسحة من الهدوء والتسامح والخجل لكن داخله بركان من العناد المحتدم يتوق إلى التسلط والعدوان والسيطرة وتأكيد الذات " وهو المنهج الذى قام عليه أصحاب الأديان الوضعية ، وأنَّى لمريض أن يقدم عملا خاليا من النقص كله.(٢)

بل أنهم فى الغالب الأعم - مؤلفى الأديان الوضعية - عاشوا بين الناس دنياهم ، ولمسوا فيهم مشاعر الحب والعداء ، والكراهية والولاء ، كما لمس الناس فيهم الضعف والذلة ، ونوبات المرض التى كانت تصاحبهم حتى منياتهم فكيف يعجز صاحب الدين عن دفع الضر عن نفسه وهو فى ذات الوقت يحاول صنع دين وضعى يقود اليه غيره .

السمة الثانية : أنها لا علاقة لها بالوحى :

الدين الألهى هو القائم على الوحى والموحى إليه . فالوحى هو الملك ، والموحِى هو رب العالمين والموحَى إليه هو النبى والقوم الذين أرسل إليهم من ثم فهى أمور

(١) المصدر نفسة صـ٤١٣

(٢) كالحال مع بونا وبراهما والقاديانى وغيرهم ممن حاولوا تنصيب أنفسهم على أفكار غيرهم تحت اسم الدين

ضرورية فى الدين السماوى لأنه قائم على وحى الله تعالى للبشر من خلال رسل يختارهم الله سبحانه وتعالى واقوا ما يقف فيهم الرسل موقف الهادى الى النور، المنقذ من الضلال . أما الاديان الوضعية فهى بعيدة تماما عن الوحى أنها جملة من القواعد والقوانين والمبادئ التى وضعها البشر بأنفسهم كأنها عقد إجتماعى ، أو تعاقد فكرى ، لكنها هنا تقف باسم أمر غيبى لذلك فهم صاغوها واتفقوا عليها ثم بعد ذلك صدروها إلى غيرهم مصطلحين على التمسك بها والعمل بما فيها والتخلى عن كل ما يخالفها ، إنها " تعاليم انسانية ناشئه عن تفكير الانسان نفسه (١).

إن الاديان الوضعية تفتقد الهوية التى تنسب إليها فمثلا الهندوسية كدين وضعى بلغ تاريخه ما يقرب من ثلاثة الف سنة ، وربما أكثر من ذلك وتعتنقه اليوم مئات الملايين ، فهو فضلا عن ذلك دين بلا عقيدة محددة ، أو جماعة من الاتباع تختص به ، أو هيئة مركزية ذات ترتيب هرمى " (٢) إنها مسألة شاعت ويصعب تقديم تعريف محدد عنه ، ولو كان له وحى يعضده ما كان بهذه الاوصاف المغرقه فى التعمية .

وإذا فقدت خاصية الاتصال بالوحى فقد فقدت دعامة أساسية وعلاقة وطيدة بجانب أن الوحى فى حد ذاته معصوم . من ثم فالأديان الوضعية تفتقد تلك الخاصية التى تجعل أفكارها معصومة وهى خاصية الاتصال بالوحى .

---

(١) د/ عوض الله حجازى - مقارنة الاديان صـ١٩ .

(٢) جفرى بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب صـ ١٣٥ سلسلة عام المعرفة ١٧٣ .

بل أن من اليسير القول بأن الأديان الوضعية لا تمثل إلا نوعا من المذاهب الفكرية أو النظريات الفلسفية ، ثم حاولت القفز على رقاب الناس باسم الدين بدل الفلسفة والغيب بدل العقل ، لكنه على الرغم من وجود الفوارق البعيدة بين الفلسفات والمذاهب الفكرية فإنها مع الأديان الوضعية تتلاقى " عند الاهتمام المشترك بالحياة والوجود والتعليم والمعرفة " (١) ليس الا ، أما الدين الإلهى فإنه يعرف بالله ويهتم بالكون ويخبر عن الحياة الآخرة لأن مصدره الوحى المعصوم وليس ذلك بحال للأديان الوضعية كالبرهمية فى الهند ، والبوذية فى شرق آسيا وديانة قدماء المصريين ، والديانة الفارسية وغيرها من الديانات الوضعية التى عرفت فى بلدان العالم المختلفة .

السمة الثالثة : تعدد الآلهة :

الدين السماوى يرشد الناس إلى إله واحد يخضع الجميع له بالعبادة والطاعة ويلوذ الناس إليه وحده فى حوائجهم ويهجعون إليه فى نوازلهم إنه الوحيد الذى يستطيع دفع الضر عنهم ومن ثم كان للإله فى الدين السماوى وصف محدد ووضع ثابت ، فهو الواحد من كل وجه الكامل عن كل نقص المتفرد بكل ما يريد لا شريك له ولاند ولا شبيه .

أما الأديان الأرضية فإن الآلهة فيها تتعدد وخصائصها تتخالف ، بل إن هذه الآلهة لكثرتها تراها متغايرة - بل ربما اشتعلت نيران الحرب بين تلك الآلهة ولم تطفئها إلا لحظة ندم ، أو دمعة باكية متى وضعت الحرب أوزارها وأرخت سدول السلم أستارها .

---

(١) جون كولر / الفكر الشرقى القديم / صـ ٢٣ سلسلة عالم المعرفة العدد ١٩٩

ثم إن التعدد فى الأديان الوضعية سمة مميزة لها . ذلك أن الإله عندهم يتطور بتطور أحواله . ولنضرب لذلك مثالا بالديانة البونية . فقد تعددت الآلهة فيها تعددا كبيرا . وصارت التجربة الدينية عند كل إله مختلفة فى تأثيرها عن الإله الآخر على وجه يصعب معه الجمع فيما بينها .

ومن ثم فهى ديانة أرضية ليس لها من إسم الدين إلا المشاركة فى اللفظ فقط مما ينبئ عن نوع من التعدد فى الآلهة سواء فى الكم أو الكيفية . فقد يُقَدَّسُ حجر أو شجر . وقد يقدس صنم . أو مدر . أو يقدس برق أو مطر . المهم أن المقدس عندهم متعدد وليس واحدا مما يجعلنا نؤكد أن الديانة الأرضية ديانة هزيلة فى المبنى والمعنى .

السمة الرابعة : التجسيد والتمثيل للآلهة .

الاله فى الدين السماوى منزه عن المكان والحلول . ومنزه عن مشابهة المخلوقات له . أو مشابهتها له . فهو واحد وهى متعددة . وهو متفرد وهى متشابهة . هو كامل وهى ناقصة . هو مستغن وهى محتاجة – ولذا فإن هذا الإله الأعظم منزه فى ذاته وصفاته وأفعاله وما يتعلق به على الوجه الذى نعلمه ومالانعلمه .

أما الأديان الوضعية فقد صارت فيها الآلهة أناسى كثيرين يأكلون ويشربون ويضربون ويغلبون . يصحون ويمرضون . إنهم يعبدون آلهة فيهم البشرية أو صورة للحيوانية . وربما كانت أحجارا تعبد أو أصناما تذل لها الجباه وتخضع أمامها الرؤس . بل ربما كانت الآلهة مخلوقات علوية وأجراما سماوية .

وقد أنبأ التاريخ حاضره وماضيه أن كثيرا من الناس عاشوا أسرى الأديان الوضعية وأسرى لها . فتنسموا من ضوء الشمس عبادة . ومن انعكاسات القمر

طاعة ، ومن خوار العجل إلهامًا يسمعه ونجوى فؤاد يرقص لها وما ذلك إلا لأنها ظواهر مادية فيها الجسمية والمماثلة .

كما أنبأ التاريخ أن الأديان الوضعية جذبت أصحابها من لحاهم والرأس حتى قدموا للشمس والقمر والمطر والرعد والحجر والوثن قرابين وهدايا فلكم ذبحوا لها وقدموا باسمها وخضعوا لأوامرها ونواهيها حتى صارت تلك الأعمال أساطير موروثه تهتز حينا فتسقط من علىائها وتقوى حولها الترميمات فتثبت بعض الوقت فى مكانها ولو عاد إليها نقدها لا نكبت على وجهها .

كما حدث أن إهتزت الصورة الإلهية الموروثة عند اليونان وترنحت عقيدتهم الراسخة أمام النشاط العلمى الواسع فى البحث عن معنى العادات الدينية ومفهوم التصورات الميثاقيريقية "(١) .

السمة الخامسة : سرعة التغير :

الدين الإلهى ثابت لأن مصدره الله - تعالى - والله كامل من كل وجه.. فدينه كذلك ، من ثم فإن العقيدة الإلهية هى التوحيد المطلق ولم يحدث عليها أى تغير بل ولم يدفع بها أى تطور ، إنها عقيدة الوحدانية التى تستمد وجودها من الواحد الأعلى الأعز الأكرم سبحانه وتعالى .

أما الأديان الوضعية فهى كالجوارى الخفيفة على سطح مياه مضطربة بين عواصف وأنواء إختل فيها أمر القيادة وعجز القبطان عن توجيه نفسه إلى شاطئ السلامة ، ومن هنا فإنه يضطرب وتتغير بسرعة قراراته ربما ابتلعه وفلكه ريح غاضب بين لجات موج عاتيه .

---

(١) د / محمد عبدالغنى شامة / بحوث فى علم الأديان المقارنه صـ ٢٨ .

فالأديان الوضعية تغير في مبادئها بشكل مستمر حتى تلائم مقتضيات الجماعة التي تحاول قيادتها وقد تتراجع في بعض القرارات فمثلا : عبد المصريون القدماء آلهة كثيرين ، فلما أرادوا أن يوفقوا بين تلك الآلهة اختاروا الشمس لتكون أمثلهم ثم وقعوا في أمر أوشك أن يقضي على عقيدتهم ، إذ كيف تكون أما ولاولد لها ، إنها أم ناقصة ، بل هي اقل الأمهات عن احتمال وصف الأمومة . من ثم اختاروا لها ابنا يرفع رايتها ويتكلم باسمها وتتوحد الآلهة تحت امرته باعتباره ابن الشمس وأطلقوا عليه " اخناتون " بينما وصفت أمه بأنها الاله " رع " وما درى هؤلاء القدماء إن الإله ثابت فمابال آلهتهم تغيرت ، إن التغير دليل النقص في المعلومات ، ومن ثم فإن الآلهة التي ترتضع ألبانها في الأديان الوضعية ناقصة من كل ناحية ومتغيرة مما يدل على أنها أديان لعبت بها الأ يادي وتلاعبت بها العقول وصاغتها عواطف هشة لا تصمد أمام نقد أو تثبت في مواجهة حوار طويل .

خذ مثلا : الثنوية القائلين بالنور والظلمة ، والمانوية القائلين بأن العالم مركب من شيئين هما : نور وظلمة (١) . ثم أضف إليها المزدكية الذين يقولون أن النور يفعل على القصد والظلمة تفعل بالخبط فماذا ترى ؟

حتما ستدرك أن الثنوية تعدد الإله ، فإله للنور وآخر للظلمة ، بينما المانوية حديثها منصب على تركيبة العالم وليس على صانعه وبالتالي رأوا أن النور لم يزل فوق الظلمة وهي تحته على الإستواء بينما قول المزدكية في كونين مختلفين

---

(١) القاضي عبدالجبار / أبي الحسن عبدالجبار الأسد أبادي ، المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج . الفرق غير الإسلامية صـ١٠ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

أحدهما كون صنع من مادة النور التى تفعل معه بالقصد ، والثانى صنع من مادة الظلمة التى تفعل بالجبر والإكراه لا شك أنك وجدت ألفاظا مترادفه ، ومعانيها متخالفة ، من ثم فإن الأديان الوضعية تتغير ولا ثبات فيها لافى أفكارها ولافى عقائدها وسلوكياتها .

السمة السادسة : سماع صوت العقل .

العقل وحده لا يتمكن من خوض غمار الزمان حتى ينتزه فيلقى إليه بما فى جعبته وهو الغيب الماضى ، كما لا يجد العقل وسيلة لاختراق حجب الزمان المقبل حتى يبيح له عن أسرار يخبئها أو غيب يخصه وهو غيب الزمان المستقبل ، بل أن العقل وحده عاجز عن إدراك كافة الحقائق الدينية وحده ، ومن ثم فالدين الإلهى جعل الوحى عاصما للعقل من الضلال وكاشفا له ، وهو بهذا قد كرم العقل وجعل له حدودا يحترم عندها وحواجز يقف أمامها .

أما الأديان الوضعية فقد تنادت بالعقل واعتبرته ربان السفينة رغم أن عقول البشر قاصرة وغير معصومة من الخطأ ولا يمكنها الخوض فى غير مجالات الحس وامكانيات العقل التى يرى له فيها ابداعا وقدرة على صياغة قوانين وقرارات تصدقها التجربة أن العقل ميدانه الطبيعة وحدها ، أما ما وراءها فتلك غيبيات لم يضع الخالق الكريم فى العقل امكانيات لفهمها أو التعرف عليها .

ونظرا لذلك فقد وقعت الأديان الوضعية وقعات لم يقدر لها فيها النجاح وسقطت فى عثرات لم تقم لها بعدها قائمة ، أنَّ الأديان الوضعية فى اصغائها للعقل قد خسرت العقل نفسه لأنها اعتمدت عليه وحده : اليس العقل هو نفسه الذى يقرر امكانية عدم التعقل ؟

اليس العقل نفسه هو الذى يفترض إنه لا عقل ؟ بل ويفترض الغاء العقول جميعا .

اليس العقل هو الذى جار بأصحابه وعليهم حينما احتموا به واستمعوا لصوته فإغرقهم فى وحل طينه ؟ حتى رؤسهم

إن الأديان الوضعية فى سماعها لصوت العقل وحده إنما تهدر قد رات أخرى وتستهلك طاقات لم تعرها انتباها . إنها لم تجعل الالهام الداخلى أمرا ذا قيمة بل ألقت به خارج نطاقها مع أن الوجدان هو الذى يلهم العقل اسمى المعانى وأنبل العواطف وأفضل الغايات . ولو أحسن القوم صنعا لا ستمعوا إلى صوت الضمير الذى ينادى بأعلى صوته بأن لاإله إلا الله . ولو اصغوا إلى الشعور الداخلى بأن هناك رقابة إلهية تعلو فوق طاقات العقل وأمورا غيبية لا تحملها أدلة مادية ولا يمكن للعقل أن يخوض غمارها وإنما مردها إلى عالم الغيب والشهادة الذى أوحى بدينه الإلهى وجعل العقل فيه حاميا له وحارسا لا مرشدا وهاديا لصاحوا بأن لا اله الا الله . ولادين الا دين الله الذى جاءت به رسل الله . وخاتمهم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ .

حيث جعل الإرشاد والتوجيه من خصوصيات الوحى . وأحاط ذلك الإرشاد وهذا التوجيه بضرورة الابلاغ والانذار مع الترهيب والترغيب . حتى كشف الوحى أمورا كانت قبل عصية .

السمة السابعة : النقصان :

الدين السماوى تام كامل . لأن الذى أنزله تام كامل . وأراد له التمام والكمال أما الاديان الارضية ففيها النقص من جميع الجهات يكفى أن مؤلفيها قد بلغ بهم النقص مداه . والمعروف أن الانسان مهما علا قدره وقويت مداركه لا يمكنه

الوفاء والاحاطة التامة بما يحفظ للبشر حياتهم ويلبى لهم متطلباتهم فضلا عن أن تكون تلك الحاجات على وجه التمام وأن تكون تلك المتطلبات متجددة على سبيل الدوام .

وكم رأينا وسمعنا أفكارا دونها أصحابها فى لحظة من الكمال الذى زعموه أو التعقل الذى اصطفوه ثم أعادوا النظر فيها فإذا بالذى اعتبر متكاملا يحيط به النقص من كل جانب بل هو النقص نفسه ، حتى تمنوا اصلاحه واعادة النظر فيه بالشكل الذى يكون عندهم مقبولا ، وليس الحال كذلك مع الدين السماوى .

إن الدين الإسلامى ليس من وضع البشر ، وبالتالى فالكمال يصاحبه ، إنه من كل ناحية تام ، فهو يفى بكافة الحاجات ، وكل المتطلبات الحاضرة والمستقبلية إن الذى شرعه هو الذى يعلم السر وأخفى ، والذى أحاط بكل شئ علما ، وهو رب العالمين .

بيد أن النقص فى الاديان الوضعية كما يأتى من ناحية مبادئها وتشريعاتها فإنه يأتى كذلك من ناحية ثوابها وعقابها ، فالدين الوضعى لا تبدو فيه مسألة الثواب أو العقاب لأن الإله ، أو الآلهة التى يعبدها يحدث لها تغير وتطور ، " من جيل إلى جيل ومن قبيلة إلى قبيلة " (١)

ومثل هذا الإله غير منزه عن النقائص ، بل أن هؤلاء الآلهة قد أحاطت بهم مناقصهم من كل حدب وصوب ، فكيف يتأتى لهم أن يحاسبوا الناس على أعمالهم بالخير خيرا والشر شرا ؟

---

(١) د / عوض الله حجازى ، مقارنة الأديان صـ ٢١ .

إنهم يفتقدون هذه الخاصية ، فكيف يمارسونها على غيرهم ؟ ولذا فإن الأديان الوضعية فى مسألة الثواب والعقاب ، لا تقدم مضامين محددة ، ولا قيما يمكن إعتبارها قواعد ثابتة بقدر ما تقدم أطروحات عقلية يجب طرحها فى وجوه أصحابها وليس ذلك إلا شأن الأديان الوضعية وحدها التى تعتمد على العقل وغزواته .

على أن هناك سمات أخرى يمكن اضافتها إلى ما سلف ولكن خشية الإطالة التى تعوق عن الإسترسال فى شرح هذه السمات وبيان بعضها وعلاقته بالبعض الآخر ، سأتوقف الآن .

وبعد :

عزيزى المطالع الكريم ، أرجو أن تكون قد استمتعت معنا بهذه الرحلة الشاقة وأن تتلمس لنا بعض الأعذار ، فما زالت الموضوعات تقف على استحياء أملة أن تناجى فى صحوة شمس أو ضحى نهار حتى تقف معا عند شاطئ الأمل يحدونا بريق من النجاة ، فإن أملت المسير معنا فما زالت فى الرحلة شواطئ كثيره نجوب خلالها أنهارا و بحارا وتقابل أفكارا ، ونخط معا أمالا كبار . والله الهادى .

خاتمة

أجل . إن دراسة الاديان أمر صعب . ذلك أن الدارس لها يجد نفسه فى حلقات متواليات . إن يفرغ من إحداها فتسلمه للأخرى رغما عنه بحيث ينطلق إليها فى رغبة ملحة وأمل عريض .

بيد أن صعوبتها تجعل الباحث الدقيق يقف عندها مرات عدة . لأنه سيواجه صعوبات جمة . أبرزها عدم الفصل فى المصادر بين تاريخ الأديان والتاريخ للأديان ، وبين مقابلة الأديان ، ومقارنة الأديان . وكلها أمور قد تعرض لها الدارسون دون أن يعلنوا عن موضوعاتها .

من ثم فقد حاولت تقديم هذا السفر القليل عارضا بعض الموضوعات الخاصة بالتاريخ للأديان تاركا أمر المقابلة لأجزاء أخرى آمل أن تتم فى سلسلة متكاملة تحت إسم : حفيف الأفنان فى الملل والنحل والأديان .

وإذا كانت الخاتمة تمثل تلخيصا لنتائج البحث فإنى ساخرج على هذا المسار المألوف فى نفس الوقت لاحبا فى التفرد ، أو رغبة فى الانفلات وإنما غايتى وضع قواعد محددة أسهم فيها بما أتمكن منه ، بحيث تكون هذه القواعد قابلة للتطبيق العملى فيما بعد .

بقيت أنة حائره ، هى أن هذا المؤلف تم على عجاله منى ، فقد صاحبته ظروف خارجه عن إرادتى ، فإن يكن القبول حظه فهذا أملى ، وإن تكن خطاه قد تعثرت بباب الأمل ، فلى رجاء جبر ما انكسر ، واقالة من عثر والله من وراء القصد . . .

د / محمد الغزالى .

مصادر البحث

أولا : القرآن الكريم وعلومه

١- القرآن الكريم

٢- الفتوحات الإلهية وبهامشه تفسير الجلالين ط المنار

٣- صفوة التفاسير الصابونى ط ١ حلب

٤- تنوير الاذهان من تفسير روح البيان - تحقيق الصابونى

٥- حاشية الصاوى على الجلالين دار الفكر .

٦- مفاتيح الغيب للإمام الرازى / دار الغد العربى ١٩٩١ م

٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل

٨- تفسير سورة الأعراف د/ أحمد سيد الكومى . ود/ محمد سيد طنطاوى دار الجيل ١٩٧٢ .

٩- بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز. تحقيق الأستاذ محمد على النجار.

١٠- أسباب النزول وبهامشه الناسخ المنسوخ ط النور الإسلامية .

١١- المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى .

١٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

١٣- الانتصاف على الكشاف - الشيخ أحمد بن المنير الاسكندرى ط دار الريان .

ثانيا : السنة المطهرة وعلومها .

١٤- فتح البارى شرح صحيح البخارى ط دار الغد العربى .

١٥- شرح السنة للبغوى دار الكتب ١٩٧٦ م .

١٦- سنن ابن ماجه .

١٧- سنن أبى داؤد .

١٨- مسند الإمام أحمد .

١٩- جامع العلوم والحكم لابن رجب ط دار الحديث .

٢٠- مختصر الزبيدى .

<u>ثالثا</u> : المعاجم والموسوعات .

٢١- لسان العرب .

٢٢- التعريفات للجرجانى .

٢٣- الموسوعة الذهبية للعلوم الاسلامية د/ فاطمة محجوب ط دار الغد العربى .

٢٤- القاموس المحيط الهيئة / المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .

٢٥- المعجم الوجيز.

٢٦- مختار الصحاح .

٢٧- بيان للناس / مشيخة الأزهر.

٢٨- سيرة المسيح - كنيسة قصر الدوبارة ١٩٨٣ .

٢٩- تراث الانسانية جـ ٢ سلسلة الم المعرفة العدد ١٢ .

<u>رابعا</u> : مصادر عامه :

ابن الشريف - الدكتور محمود

٣٠- الاديان فى القرآن ط دار المعارف ١٩٨٠

ابن حزم

٣١- الاحكام فى أصول الأحكام ط دار الحديث ١٩٨٤

ابن الحاجب

٣٢- متن الكافية / مجموع مهمات المتون ط الحلبى

الأسدابادى - القاضى عبدالجبار بن أحمد بن أحمد الهمدان

٣٣- المغنى فى أبواب التوحيد والعدل جـ ٥ الفرق غير الاسلامية

تحقيق د/ محمود الخضيرى الهيئة العامة

أبو الحسين - الماوردى

٣٤- أدب الدين والدنيا .

ابن الجوزى

٣٥- منتخب قرة العيون النواظر / تحقيق محمد السيد الصفطاوى

ابن عقيل

٣٦- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك

بارندر جفرى

٣٧- المعتقدات الدينية لدى الشعوب - عالم المعرفة العدد ١٧٣ .

بدوى . - د / عبدالرحمن

٣٨- مناهج البحث العلمى

جعفر - د/ محمد كمال

٣٩- الاسلام بين الاديان - دار العلوم

حسين - الامام الشيخ محمد الخضر

٤٠- القاديانية ط مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧٠

الحوينى : د / حسن محرم السيد

٤١- البابية والبهائية والقاديانية ط الهدى ١٩٨٤

حسب الله - الدكتور- على

٤٢- أصول التشريع الاسلامى ط ٥ دار المعارف ١٩٧٦

حجازى - د / عوض الله جاد .

٤٣- مقارنة الاديان بين اليهودية والاسلام / الطباعة المحمدية ط ٤ سنة ١٩٩٣م .

الدردير- ابو البركات أحمد

٤٤- شرح الخريدة البهيه ط الحلبى ١٩٤٧

دراز- د / محمد عبدالله

٤٥- الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان .

الرازى - الامام فخر الدين

٤٦- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تحقيق عبدالرؤف سعد

زاهر- الدكتور / رفقى

٤٧- قصة الاديان / المطبوعات الدولية أولى ١٩٨٠ .

الرافعى - الاستاذ / مصطفى صادق

٤٨- وحى القلم - ط الاستقامة ١٩٤١

زايد - الاستاذ سعيد

٤٩- مفاتيح العلوم للخوارزمى - الهيئه المصرية للكتاب ١٩٩٦

زكريا - د/ فؤاد

٥٠- التفكير العلمى

الشامى - د / رشاد عبدالله

٥١- القوى الدينية فى اسرائيل / سلسلة عالم المعرفة ١٨٦

الشاعر - د / حمد عبدالحميد

٥٢- منهاج البحث الخلقى فى الفكر الاسلامى - دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ م.

الشتيوى - د / محمد رجب

٥٣- النصرانية - الطباعة المحمدية ١٩٨٩ م..

الشهرستانى - الامام - أبو الفتح عبدالكريم

٥٤- الملل والنحل - تحقيق - أ - عبدالعزيز محمد الوكيل ط الحلبى

عبدالرازق - شيخ الاسلام الشيخ مصطفى

٥٥- الدين والوحى والاسلام - ط الحلبى..

عوض - الدكتور عباس محمود

٥٦- علم النفس العام - دار المعرفة بالاسكندرية ١٩٨٩ م..

الغنام - د / أحمد طلعت

٥٧- اضواء على النصرانية - ط الفجر الجديد ١٩٨٧ م..

الغزالى . د / محمد حسين موسى..

٥٨- الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى - ط شروق ١٩٩٥ م..

٥٩- غدوة المشتاق فى ربوع الأخلاق - الاصدقاء ١٩٩٦ م..

٦٠- أورق متناثرة فى التيارات المعاصرة - ط شروق ١٩٩٥م..

قطب - الاستاذ/ محمد

٦١- مذاهب فكرية معاصرة - ط دار الشروق ١٩٩٣

كولر - جون

٦٢- الفكر الشرقى القديم - عالم المعرفة -١٩٩٠

المنوفى - الاستاذ / محمود أبو الفيض..

٦٣- تهافت الفلاسفه عن درك الحقيقة المطلقة دار نهضة مصر -١٩٦٧ م

مزروعة - د/ محمود محمد

٦٤- دراسات فى الملل والنحل جـ١ ط العاصمة ١٩٧٦ م..

مبارك - د / صفوت حامد

٦٥- مدخل لدراسة الأديان ١٩٨٧ م .

مشرقى - القس صموئيل

٦٦- الالهيات ط ٢ الكنيسة المركزية ١٩٨٢ م.

٦٧- حقيقة الحياة والموت ١٩٩٤ م.

منقريوس - القس رمسيس منصور

٦٨- موعظة الجبل طريق الحياة - ١٩٨٨ م الوطنية .

النشرتى - د / حمزة وآخر.

٦٩- سلسلة الفقة على المذاهب الاربعة ط دار الغد العربى .

الندوى - الدكتور / محمد اسماعيل .

٧٠ - الهند القديمة حضارتها وديانتها / دار الشعب ١٩٧٠ م.

((كتب صدرت للمؤلف))

١ – الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامي – مكتبة شروق بالزقازيق ١٩٩٥م نفدت الطبعة الأولى وجاري صدور الطبعة الثانية .

٢ – أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة – مطبعة غريب ١٩٩٥م نفدت الطبعة الأولى وجاري صدور الطبعة الثانية .

٣ – رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق – مكتبة شروق بالزقازيق ١٩٩٥م . نفدت الطبعة الأولى وجاري صدور الطبعة الثانية .

٤ – حبو الوليد في علم التوحيد – مكتبة شروق ١٩٩٥م نفدت الطبعة الأولى وجاري صدور الطبعة الثانية .

٥ – غدوة المشتاق في ربوع الأخلاق – مكتبة غريب ١٩٩٦م نفدت الطبعة الأولى وجاري صدور الطبعة الثانية .

٦ – وميض النصرانية بين غيوم المسيحية – مطبعة صنعاء بالأسدية – أيمن البردلي ١٩٩٦م .

٧ – حلف الفضول عند العرب وأثره في العصر الحديث – مطبعة صنعاء بالأسدية ١٩٩٦م .

٨ – درة العدد بتفسير سورة المسد – مطبعة صنعاء بالأسدية ١٩٩٦م .

٩ – طيف الأفنان في الملل والأديان – مكتبة الأصدقاء بغزالة – هشام الشهيدي ١٩٩٦م .

١٠ – ديوان التائه الغريب – مكتبة الأصدقاء بغزالة ١٩٩٦م .

١١ – خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة – مكتبة شروق بالزقازيق ١٩٩٦م .

١٢ – أنات حائرة – مكتبة شروق بالزقازيق ١٩٩٦م .

رقـم الايداع

(٩٦ / ١٠٥٧٩)

الترقيم الدولى : 977-19- 1446

مطبعة الهـــدى